

اعتراضات الكفار في القرآن الكريم

دراسة موضوعية

بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

من إعداد الباحث: عمر أبو زيد

MTF093AB903

تحت إشراف: الدكتور السيد سيد أحمد محمد نجم

الأستاذ المساعد بكلية العلوم الإسلامية

الموسم الجامعي:

1433 هـ – 2012 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ملخص البحث

لقد جعل الله تعالى الغاية من إيجاد الخلق إخلاص العبادة وتمام الاستسلام له جل وعلا، ومن أجل ذلك أنزل الكتب وأرسل الرسل وأوضح المحجة، ولما كان الاعتراض على الحق أعظم ما ينقض هذه الغاية العظيمة، فقد اعتنى القرآن الكريم بإبراز هذه الظاهرة المشؤومة عنابة كبيرة تجلت في إظهار خطورتها وسوء عاقبتها، كما ركز القرآن على إظهار الأسباب والدوافع التي تكمن وراء من التبس بهذه الصفة الشنيعة كالاستكبار والجهل واتباع الآباء والأجداد، كما حذر القرآن الكريم من سلوك الأساليب والطرق التي امتطأها هؤلاء المعترضون على دينه ورسله كالاستهزاء والتكذيب والاقتراح وغير ذلك من الأساليب، وذكر قصصهم ومواقفهم لكي يتعظ بها ويعتبر بها، وبين دعوة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام لهؤلاء ومجادلتهم بالحجج والبراهين الساطعة التي تكشف شبهاتهم واعتراضاتهم. وقد استوفى القرآن الكريم عرض جميع هذه الاعتراضات والشبهات التي أوردتها الكفار في كل زمان ومكان وفي كل مجال سواء منها ما يتعلق بالعقيدة كالاقتراض على ربوبية الله تعالى أو ألوهيته والاعتراض على رسله والاعتراض على وقوع اليوم الآخر والاعتراض على أقدار الله تعالى، أو ما يتعلق بالأحكام الشرعية كالاقتراض على أوامر الله تعالى والتعنت في انتهاك حرماته وعدم الرضا بأحكامه في الخصومات، وقد نبه القرآن الكريم من خلال إيراد هذا الصراع بين الحق والباطل على أن اعتراضات وشبه أهل الكفر والضلال لا تتغير ولا تتبدل على مر التاريخ واختلاف الأمم والأقوام، فاعتراضات الملاحدة والمشككين في هذه الأيام هي نفسها التي أثارها أسلافهم كما حكاه القرآن حذو القذة بالقذة، والله متم نوره ولو كره الكافرون، والحمد لله رب العالمين.

مُقَدِّمَةٌ



الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون،
أحمده تعالى وأستغفره، وأعوذ به من شر نفسي وسوء عملي، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۖ وَلَا تَمُونَنَّ إِلَّا وَانْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾^(١)

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا
وِنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۖ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾^(٢)

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ
ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾^(٣)

وبعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي رسول الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل ضلالة في النار.

لقد خلق الله تعالى آدم عليه السلام وأسجد له ملائكته وأسكنه فسيح جنته يأكل منها هو وأما حواء رغدا، وابتلاه الله تعالى بعدم الأكل من شجرة واحدة، وحذره من عدوه اللدود إبليس الذي اعترض على أمر الله جل وعلا لما أمره بالسجود لآدم، إلا أن حكمته سبحانه شاءت أن يستجيب الأبوان لوسوسة عدوهما فأكلا من الشجرة وبدت لهما سوءاتهما، لكن المولى سبحانه تداركهما بعفوه وكرمه بعد ما ظهر منهما الاعتراف والندم والتضرع والاستكانة والاستسلام الكامل له تبارك وتعالى.

وأما العدو اللعين فإنه أصر على المخالفة بل واحتج وعارض الأمر وقدح في الحكمة الربانية ولم يطلب الإقالة بل استنكف واستكبر، فكان مصيره الطرد واللعنة إلى يوم الدين.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠ و٧١.

واقترضت حكمة الله تعالى أن يهبط آدم عليه السلام وإبليس اللعين إلى هذه الدار الدنيا ليتلوا بعضهم ببعض، وليبدأ الصراع بين الحق والباطل، والذي يظهر الله تعالى فيه من يتبع هدى الله تعالى ويتشبه بأبي البشر آدم عليه السلام في الخضوع والاستسلام للخالق سبحانه، ويظهر فيه من يعرض عن ذكره تعالى ويشبه بأبي الجن إبليس اللعين في التمرد والاعتراض على الحق تبارك وتعالى.

وقد سجل القرآن الكريم كثيرا من مواقف كل من الطرفين: مواقف المستسلمين لله تعالى الخاضعين له وما حصل لهم من الفلاح والفوز في الدنيا والآخرة، ومواقف المعترضين المتمردين عليه سبحانه وما أصابهم من الهلاك والخسران في الدنيا والآخرة.

وفي هذا البحث المتواضع محاولة لإبراز ما يتعلق بالطائفة الثانية من حيث الأسباب والدوافع والمواقف، وكيف تناولها القرآن الكريم، وقد اخترت له عنوان: "اعتراضات الكفار في القرآن الكريم، دراسة موضوعية تحليلية"، راجيا من الله تبارك وتعالى التوفيق والسداد، إنه سميع مجيب.

وهذا أوان الشروع في الموضوع بتوفيق الله تعالى:

أولاً: أهمية الموضوع:

أ- كون هذا الموضوع متعلقاً بكتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تزييل من حكيم حميد، والذي فصل الله جل وعلا فيه كل شيء.

ب- تعلقه بجانب مهم من العقيدة الإسلامية، إن لم نقل أنه أصلها وأسها، ألا وهو وجوب الاستسلام لله تعالى، وعدم الاعتراض عليه.

ت- البحث في هذا الموضوع ليس بحثاً حول ظاهرة مرت في زمن من تاريخ البشرية وانقضت، بل هي ظاهرة تتكرر وتعود على مر الأيام والعصور.

ث- كون هذه الظاهرة - الاعتراض على الله تعالى - سبباً في نزول العذاب والخسران على العباد، فيجب أن تدرس لتعلم فتجتنب لاتقاء عقوبة الله جل وعلا.

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع:

أ - الهجمة الشرسة التي يتعرض لها الإسلام في قرآنه ونبيه ﷺ وشريعته ورموزه من صحابة رضي الله عنهم جميعاً وعلماء رحمهم الله، خاصة في هذه الأيام من طرف أعداء الله من زنادقة وملاحدة ويهود ونصارى.

ب- لم أجد - حسب اطلاعي المحدود - مؤلفاً أو بحثاً تناول هذا الموضوع بتفاصيله، وإنما يوجد منه مسائل متفرقة في كتب التفسير والعقيدة، ولذلك استعنت بالله تعالى في الكتابة فيه.

ت- غزارة المادة العلمية في هذا الموضوع، ويظهر ذلك إذا علمنا أن عدد المواضع التي ذكر الله جل وعلا فيه اعتراض الكفار في القرآن الكريم وصل إلى ١٦٦ موضعاً بالمكرر، في ٥٤ سورة تقريباً حسب الاستقراء الشخصي القاصر.

ثالثاً: منهج البحث:

يمكن إيجاز منهجية البحث التي سرت عليها في الأعمال الآتية:

- ١- القيام باستقراء وتتبع الآيات التي تتحدث عن اعتراض الكفار في القرآن الكريم، سواء أذكر فيها الاعتراض صريحاً أم ذكر بالتلميح والإشارة.
- ٢- تصنيف الآيات المتعلقة بالبحث حسب أصناف المعترضين، وحسب موضوع الاعتراض، مع الإشارة إلى أسلوب الاعتراض وسببه.
- ٣- الرجوع في تفسير الآيات وتحليلها إلى أمهات كتب التفسير خاصة المأثور منها كتفسير الإمام الطبري شيخ المفسرين، وتفسير ابن كثير رحمه الله، وتفسير السعدي، وكذا تفسير أضواء البيان للشنقيطي، رحم الله الجميع.
- ٤- كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني على قراءة عاصم برواية حفص عنه، مع وضعها بين أقواس مزهرية، والإشارة إلى سورها وأرقامها في الهامش.
- ٥- تخريج الأحاديث النبوية من كتب السنة المعتمدة، فإذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما أكتفي بالعزو إليهما، وإلا اجتهدت في تخريجه من الكتب الستة أو المسانيد مع بيان درجتها معتمداً على أقوال النقاد من المتقدمين والمتأخرين.
- ٦- التعريف بما يحتاج إلى ذلك من البلدان والأماكن، وشرح ما يحتاج إلى توضيح من ألفاظ ومصطلحات.

رابعاً: خطة البحث:

قسمت هذه الدراسة إلى: مقدمة، وثلاثة أبواب، وخاتمة.

المقدمة: ذكرت فيها :

- أهمية هذا الموضوع.

- أسباب اختيار الموضوع.

- منهج البحث.

- خطة البحث.

- كلمة شكر.

الباب الأول: خطورة الاعتراض وأسبابه وأساليبه.

الفصل الأول: خطورة الاعتراض على الله تعالى: وفيه أربع مباحث:

- المبحث الأول: تعريف الاعتراض.

- المبحث الثاني: شؤم الاعتراض.

الفصل الثاني: أسباب اعتراضات الكفار: وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: الاستكبار.

- المبحث الثاني: الجهل.

- المبحث الثالث: اتباع الآباء.

الفصل الثالث: أساليب اعتراضات الكفار في القرآن: وفيه أربعة مباحث:

- المبحث الأول: الجدل.

- المبحث الثاني: الاستهزاء.

- المبحث الثالث: التكذيب.

- المبحث الرابع: الاقتراح.

الباب الثاني: الأفراد والطوائف المعترضة في القرآن الكريم ، وفيه أربعة فصول.

الفصل الأول: إبليس اللعين، وفيه ثلاثة مباحث.

- المبحث الأول: التعريف بإبليس اللعين.

- المبحث الثاني: كونه أول المعترضين على رب العالمين وشبهته في ذلك

- المبحث الثالث: بيان فساد اعتراض اللعين.

الفصل الثاني: المنكرون لربوبية الله تعالى، وفيه مبحثان.

- المبحث الأول: النمروذ الملك المتجبر.

- المبحث الثاني: فرعون الطاغية.

الفصل الثالث: المشركون من الأمم السالفة، وفيه ثلاثة مباحث.

- المبحث الأول: التعريف بشرك الألوهية .

- المبحث الثاني: تشابه اعتراضات المشركين.

- المبحث الثالث: الأمم المشركة المعترضة في القرآن الكريم.

الفصل الرابع : المعترضون من أمة النبي صلى الله عليه وسلم، وفيه مبحثان.

- المبحث الأول: المشركون.

- المبحث الثاني: المنافقون.

الباب الثالث: أنواع اعتراضات الكفار في القرآن الكريم : وفيه خمسة فصول .

الفصل الأول : الاعتراض على الله تعالى في ربوبيته و ألوهيته، وفيه مبحثان.

- المبحث الأول: الاعتراض على ربوبية الله تعالى.

- الاعتراض على ألوهيته تعالى.

الفصل الثاني : الاعتراض على أنبياء الله تعالى و رسله، وفيه مبحثان.

- المبحث الأول: اعتراضات الكفار على رسل الله .

- المبحث الثاني: ردود القرآن على اعتراضات الكفار على رسل الله.

الفصل الثالث: الاعتراض على شرع الله تعالى و حكمه، وفيه مبحثان.

- المبحث الأول: اعتراضات الكفار على أحكام الله تعالى.

- المبحث الثاني: ردود القرآن على اعتراضات الكفار على أحكام الله.

الفصل الرابع : الاعتراض على وقوع اليوم الآخر، وفيه مبحثان.

- المبحث الأول: اعتراضات الكفار على وقوع اليوم الآخر.

- ردود القرآن الكريم على اعتراضات الكفار على منكري البعث.

الفصل الخامس: الاعتراض على أقدار الله تعالى، وفيه ثلاثة مباحث.

- المبحث الأول: التعريف بالقدر.
 - المبحث الثاني: اعتراضات الكفار على أقدار الله تعالى.
 - المبحث الثالث: ردود القرآن الكريم على الكفار في باب القدر.
- الخاتمة: و فيها ما توصلت إليه من خلال هذه الدراسة من النتائج والتوصيات التي خرجت بها.
- الفهارس: واشتملت على الآتي:

- فهرس الآيات القرآنية.
 - فهرس الأحاديث النبوية.
 - فهرس الآثار.
 - فهرس الموضوعات.
- هذا و الله الموفق و صلى الله على نبينا محمد و على آله و صحبه و سلم.

كلمة شكر

انطلاقاً من قوله جل شأنه: ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَايَكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾^(١)، وقوله ﷺ: " لا يشكر الله من لا يشكر الناس"^(٢)، فإني أحمد الله عز وجل على ما أنعم، وأشكره سبحانه على عونه وتوفيقه، وأسأله تعالى أن يتقبل هذا العمل المتواضع وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله في ميزان حسنات من كان له الفضل علي بعد الله والذي رحمه المولى.

ثم إنني أتقدم بالشكر الجزيل و العرفان الجميل لهذا الصرح العلمي البارز والمتميز جامعة المدينة العالمية بماليزيا، متمثلة في طاقم إدارتها الموقرين وأطرها العلمية المكرمين، على ما قدموه ويقدمونه من خدمة جليلة لطلاب العلم في مشارق الأرض ومغاربها بتقريب وتيسير العلوم الشرعية، فجزى الله مؤسسيها والقائمين عليها خيراً.

ثم إنني أحب أن أقدم الشكر لكل مشايخي وأساتذتي الأجلاء بهذه الجامعة المباركة على ما علموني وأفادوني خلال مسيرتي العلمية بهذه الجامعة الطيبة، أرجو الله تعالى أن يجزل لهم المثوبة. وأود أن أخص بشكري وامتناني شيخني وأستاذي فضيلة الدكتور د. السيد سيد أحمد محمد نجم حفظه الله تعالى، على تكريمه بالإشراف على هذه الرسالة، وعلى الرعاية والعناية التي غمرني بها، وعلى توجيهاته وإرشاداته التي قدمها لي، وأنا مدين له بالفضل بعد الله تعالى في هذا البحث، أسأل المولى جل في علاه أن يجزيه عني خير الجزاء، وأن يبارك له في علمه وعمره.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أوجه شكري لكل من كان له يد عون أو نصح أو إفادة، وفي مقدمتهم والدي وأهلي وأولادي - حفظهم المولى - على تشجيعهم وتحملهم انشغالي عنهم بهذا العمل، كما أخص بالذكر أخي وزميلي الفاضل الدكتور مولاي بوجمعة أمدجار - حفظه الله - على ما قدمه لي من مساعدة وإفادة، فجزاه الله عني خير الجزاء.

وختاماً فما كان في هذا البحث من صواب فمن الله وحده، وما فيه من زلل أو خطأ فمن نفسي ومن الشيطان، وأستغفر الله تعالى من كل ذنب، وصلى الله على نبيه محمد وعلى آله وصحبه.

(١) سورة لقمان، جزء من الآية: ١٤.

(٢) مسند أحمد، رقم الحديث: ٧٩٣٩ من حديث أبي هريرة، وسنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في شكر المعروف، رقم الحديث: ٤٨١٣، قال الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٧٠٢/١): صحيح على شرط مسلم.

الباب الأول

خطورة الاعتراض
وأسبابه وأساليبه

الفصل الأول: خطورة الاعتراض على الله تعالى:

قبل الحديث عن خطورة هذه الصفة الذميمة وما يترتب عليها من العواقب الوخيمة و النتائج المهلكة، لا بد من تعريف بها لغة واصطلاحا.

المبحث الأول: تعريف الاعتراض:

تعريف الاعتراض لغة:

قال في المعجم الوسيط: "اعترض" الشيء صار عارضا كما تكون الخشبة في النهر أو الطريق ويقال اعترض دونه حال واعترض له منعه واعترض عليه أنكر قوله أو فعله"^(١).

تعريف الاعتراض اصطلاحا:

هو الممانعة والمنازعة والمدافعة والإنكار لما جاء عن الله ورسوله ﷺ.

قال صاحب القاموس: " وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ " ^(٢) : مانعا معترضا أي: بينكم وبين ما يقربكم إلى الله تعالى أن تبروا وتتقوا، أو العرضة: الاعتراض في الخير والشر أي: لا تعترضوا باليمين في كل ساعة ألا تبروا ولا تتقوا.

والاعتراض: المنع والأصل فيه أن الطريق إذا اعترض فيه بناء أو غيره منع السابلة من سلوكه."^(٣).

(١) إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار النشر: دار

الدعوة، مادة: "عرض"، ٧٥/٢.

(٢) سورة البقرة، جزء من الآية: ٢٢٤.

(٣) الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب مجد الدين الشيرازي، القاموس المحيط،(نسخة مصورة عن الطبعة الثالثة للمطبعة الأميرية

سنة ١٣٠١هـ)، ٨٣٣/١.

المبحث الثاني: شؤم الاعتراض على الله تعالى:

إن الاعتراض على الله تعالى بمدافعة شرعه ومنازعة رسله، يعتبر باب الكفر وطريق الهلاك وسبيل كل شر؛ وذلك أن الاعتراض هو ضد الاستسلام والذي هو الإسلام والذي لا تثبه قدمه ولا يعلو بنيانه إلا على ظهر التسليم والانقياد للشرع وعدم مدافعته.

قال ابن أبي العز الحنفي في شرح قول الإمام الطحاوي: "ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام"، قال: هذا من باب الاستعارة، إذ القدم الحسي لا تثبت إلا على ظهر شيء، أي لا يثبت إسلام من لم يسلم لنصوص الوحيين، وينقاد إليها، ولا يعترض عليها ولا يعارضها برأيه ومعقوله وقياسه، روى البخاري عن الإمام محمد بن شهاب الزهري رحمه الله أنه قال: (من الله الرسالة، ومن الرسول البلاغ، وعلينا التسليم)^(١)، وهذا كلام جامع نافع^(٢).

فكل من لم يستسلم للوحي لا بد أن يعيش في تيه وضلال وتعاسة مع ما يدخر له من العذاب في الآخرة، وهذه بعض العواقب الوخيمة لمن سلك سبيل الاعتراض على الوحي:

- الضلال والشقاء:

لا بد لكل من عارض الحق الذي بعث الله به الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام أن يعيش حياة الضنك والشقاء في الدنيا قبل الآخرة، قال ابن القيم رحمه الله: "إن الله سبحانه لما أهبط الأبوين من الجنة عهد إليهما عهدا تناولهما وتناول ذريتهما إلى يوم القيامة وضمن لمن تمسك بعهدده أنه لا يضل ولا يشقى ولن أعرض عنه الضلال والشقاء فقال تعالى: ﴿ قَالَ أَهَيْطًا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ (١٣٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن

(١) ذكره البخاري معلقا في كتاب التوحيد، باب قول الله: ﴿ يَأْتِيَنَّكَ الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾، ورواه ابن حبان في صحيحه (رقم: ١٨٦، ٤١٤/١) وقال محققه شعيب الأرنؤوط: "إسناده صحيح على شرطهما لولا عنونة الوليد بن مسلم لكنه توبع".

(٢) ابن أبي العز، صدر الدين محمد بن علاء الدين دمشقي، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق أحمد شاكر، ط ١، (طبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالسعودية)، ص: ١٦٩.

ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدَكُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ (١).

قال ابن عباس: (تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ثم قرأ هذه الآية وقوله: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾ (٢)، يتناول الذكر الذي أنزله وهو الهدى الذي جاءت به الرسل ويدل عليه سياق الكلام وهو قوله كذلك ﴿أَنْتَكَ آيَاتُنَا فَتَسِينَهَا﴾، فهذا هو الإعراض عن ذكره فإذا كان هذا حال المعرض عنه فكيف حال المعارض له بعقله أو عقل من قلده وأحسن الظن به فكما أنه لا يكون مؤمناً إلا من قبله وانقاد له فمن أعرض عنه وعارضه من أبعد الناس عن الإيمان به (٣).

– الذل والصغار في الدنيا والآخرة:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذْلَلِينَ﴾ (٤)، قال الإمام الشنقيطي رحمه الله تعالى: "ذكر – جل وعلا – في هذه الآية الكريمة أن الذين يحادون الله ورسوله داخلون في جملة الأذلين – لا يوجد أحد أذل منهم، وقوله: يحادون الله ورسوله أي يعادون ويحالفون ويشاقون، وأصله مخالفة حدود الله التي حدها.

وقوله: ﴿فِي الْأَذْلَلِينَ﴾ أي الذين هم أعظم الناس ذلاً. والذل: الصغار والهوان والحقارة.

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من كون الذين يحادون الله ورسوله هم أذل خلق الله، بينه – جل وعلا – في غير هذا الموضع، وذلك بذكره أنواع عقوبتهم المفضية إلى الذل والخزي والهوان، كقوله

(١) سورة طه، الآيات: ١٢٣-١٢٥.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، (رقم: ٣٥٩٢٦)، ٣٧١/١٣.

(٣) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، أبو عبد الله الزرعي، الصواعق المرسله على الجهمية والمعطلة، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله،

ط ٣ (الرياض: دار العاصمة، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م)، ٣/٨٤٥.

(٤) سورة المجادلة، الآية: ٢٠.

تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَتَقَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُنْتُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا أَن كُنَّبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبْتَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴾^(٣) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾^(٤).

— عقوبة الله للمعترض عليه بإفساد عقله:

قال ابن القيم رحمه الله: "إن الله سبحانه اقتضت حكمته وعدله أن يفسد على العبد عقله الذي خالف به رسله ولم يجعله منقاداً لهم مسلماً لما جاءوا به مدعياً له بحيث يكون مع الرسول كملوكه المنقاد من جميع الوجوه للمالك المتصرف فيه ليس له معه تصرف بوجه من الوجوه فأول ما أفسد سبحانه عقل شيخهم القديم إبليس حيث لم ينقد به لأمره وعارض النص بالعقل وذكر وجه المعارضة فأفسد عليه عقله غاية الإفساد حتى آل الأمر إلى أن صار إمام المبطلين وقدوة الملحددين وشيخ الكفار والمنافقين ثم تأمل كيف أفسد عقول من أعرض عن رسله وعارض ما أرسلوا به فآل بهم فساد تلك العقول إلى ما قصه الله عنهم في كتابه، ومن فساد تلك العقول أنهم لم يرضوا بنبي من النبيين ورضوا بإله من الحجر، ومن فساد تلك العقول أنهم استحبوا العمى على الهدى، وآثروا عقوبة الدنيا والآخرة على سعادتهما، وبدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار.

وأفسد عقول أهل الكتابين بكفرهم بالرسول حتى آل أمرهم إلى مقالات الفلاسفة التي قدموها على ما جاءت به الرسل حتى قالوا ما أضحكوا به كافة العقلاء وإن كانوا أصحاب صنائع وأفكار واستنبطوها بعقولهم لعجز غيرهم عنها لكن أفسد عليهم العقل الذي ينال به سعادة الأبد حتى قالوا في فرية سلسلة الموجودات عن واجب الوجود ما هو بسلسلة المجانين أشبه منه بكلام عقلاء الآدميين."

(١) سورة التوبة، الآية: ٦٣.

(٢) سورة المجادلة، جزء من الآية: ٥.

(٣) سورة الحشر، الآيتان: ٣-٤.

(٤) الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (بيروت، دار الفكر،

١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ٧/٥٥٤-٥٥٥.

إلى أن قال رحمه الله: "وكلما كان الرجل عن الرسول أبعد كان عقله أقل وأفسد، فأكمل الناس عقولا أتباع الرسل، وأفسدهم عقولا المعرض عنهم واما جاءوا به، ولهذا كان أهل السنة والحديث أعقل الأمة وهم في الطوائف كالصحابة في الناس"^(١).

– التناقض والاضطراب:

وهذه العقوبة تابعة للتي قبلها، فلفساد عقول هؤلاء المعترضين على الحق يقعون في اضطراب وحيرة وتناقض، كما ذكر الحق سبحانه عن الكفار المعترضين على بشرية الرسل ووقوع اليوم الآخر: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾^(٢)، أي: ﴿بَلْ﴾ كلامهم الذي صدر منهم، إنما هو عناد وتكذيب للحق الذي هو أعلى أنواع الصدق ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ أي: مختلط مشتبه، لا يثبتون على شيء، ولا يستقر لهم قرار، فتارة يقولون عنك: إنك ساحر، وتارة مجنون، وتارة شاعر، وكذلك جعلوا القرآن عضيعن، كل قال فيه، ما اقتضاه رأيه الفاسد، وهكذا، كل من كذب بالحق، فإنه في أمر مختلط، لا يدرى له وجهة ولا قرار، فترى أموره متناقضة مؤتفكة كما أن من اتبع الحق وصدق به، قد استقام أمره، واعتدل سبيله، وصدق فعله قيله"^(٣).

(١) ابن قيم، مصدر سابق، ٨٦١/٢.

(٢) سورة ق، الآية: ٥.

(٣) السعدي: عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، ط: ١،

(الرياض، مؤسسة الرسالة)، ص ٨٠٣ - ٨٠٤.

الفصل الثاني: أسباب الاعتراض على الله تعالى:

معرفة هذا المبحث له أهمية كبرى في فهم موضوع البحث؛ وذلك أنه بمعرفة هذه الأسباب والاطلاع عليها يزول العجب من سخافة اعتراضات هؤلاء الكفار على العزيز الغفار، كما يقال "إذا عرف السبب بطل العجب".

وقد اعتمدت في استخراج هذه الأسباب على ذكرها صراحة في بعض الآيات، أو على المعاني الدالة عليها من خلال سياق الآيات القرآنية.

ولتفصيل هذه الأسباب أوردتها في المباحث الآتية:

المبحث الأول: الاستكبار:

هذه الصفة بهذا اللفظ وما تصرف منه وردت في القرآن الكريم في أكثر من خمسين موضعاً، وكلها جاءت في سياق الذم والتشنيع والزجر، مما يدل على خطورة هذه الصفة وقبحها عند الله تعالى.

المطلب الأول: تعريف الاستكبار:

كلمات "الكبر" و"التكبر" و"الاستكبار" كلها مشتقة من مادة "كبر"، وهي تتقارب في المعنى^(١).

و"الكبر" ينقسم إلى باطن وظاهر فالباطن هو خلق في النفس والظاهر هو أعمال تصدر عن الجوارح واسم الكبر بالخلق الباطن أحق وأما الأعمال فإنها ثمرات لذلك الخلق وخلق الكبر موجب للأعمال ولذلك إذا ظهر على الجوارح يقال تكبر وإذا لم يظهر يقال في نفسه كبر، فالأصل هو الخلق الذي في النفس وهو الاسترواح والركون إلى رؤية النفس فوق المتكبر عليه^(٢).

(١) الراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق مصطفى العدوي، ط ١ (القاهرة، مكتبة فياض)، ص: ٥٣٤.

(٢) الغزالي: محمد بن محمد ي أبو حامد، إحياء علوم الدين، (بيروت، دار المعرفة)، ٣ / ١٤٤.

والاستكبار صيغة تدل على الطلب، قال ابن عاشور: " والاستكبار التزايد في الكبر لأن السين والتاء فيه للمبالغة لا للطلب كما علمت، ومن لطائف اللغة العربية أن مادة الاتصاف بالكبر لم تجئ منها إلا بصيغة الاستفعال أو التفعّل إشارة إلى أن صاحب صفة الكبر لا يكون إلا متطلباً الكبر أو متكلفاً له وما هو بكبير حقاً"^(١)، ولذلك لا يذكر الاستكبار في القرآن إلا للذم؛ لأن كل من طلب الكبر طلبه بغير حق، وما ورد في القرآن من وصف الاستكبار بغير حق كما في قوله تعالى عن فرعون: ﴿وَأَسْتَكْبِرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾^(٢)، فهي صفة لازمة لعاملها؛ إذ لا يكون الاستكبار إلا بغير الحق.

والله وحده هو المستحق لهذه الصفة؛ ولذلك ورد في أسمائه جل وعلا "المتكبر" ولم يرد "المستكبر".

المطلب الثاني: أنواع الاستكبار:

والاستكبار ثلاثة أنواع:

النوع الأول: وهو شر هذه الأنواع: الاستكبار على الله جل وعلا:

وذلك بالترفع والاستنكاف عن عبادته والإذعان لشرعه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِيْهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾^(٣)، ومن هذا النوع استكبار فرعون الذي ادعى الربوبية واستنكف عن عبادة الله تعالى.

النوع الثاني: الاستكبار على الرسل عليهم الصلاة والسلام:

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الطبعة التونسية، (تونس، دار سحنون)، ٤٢٧/١.

(٢) سورة القصص، جزء من الآية: ٣٩.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٧٢.

وذلك بالترفع والاستنكاف عن اتباعهم في الحق الذي بعثوا به، كما في قول الله تعالى: ﴿الْمُرَّ

يَأْتِكُمْ نَبُوءُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ

بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ (١).

(١) سورة التغابن، الآيتان: ٥ و ٦.

النوع الثالث: الاستكبار على الناس:

وذلك بالترفع عليهم واحتقارهم وازدراءهم ولو كانوا على الحق، ومن هذا قول قوم نوح عليهم السلام

له لما دعاهم إلى الإيمان بالله تعالى: ﴿ قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴾ (١١١) (١).

المطلب الثالث: كون الاستكبار سببا في الاعتراض على الحق:

ورد في آيات كثيرة من كتاب الله تعالى ما يبين أن الاستكبار سبب في الاعتراض على الحق وأهله، من ذلك قوله جل وعلا عن فرعون وقومه وامتناعهم واعتراضهم على الإيمان بموسى وهارون

بسبب الاستكبار: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ

وَمَلَائِيهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا أَنْتُمْ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِدُونَ ﴾ (٤٧) (٢).

وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يبين أن الاستكبار سبب في رد الحق والاعتراض عليه، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، قال رجل إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة، قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس" (٣).

قال الإمام النووي رحمه الله: " بطر الحق فهو دفعه وإنكاره ترفعا وتجبرا" (٤).

(١) سورة الشعراء، الآية: ١١١.

(٢) سورة المؤمنون، الآيات: ٤٥-٤٧.

(٣) صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: تحريم الكبر وبيانها، الحديث رقم: ٩١.

(٤) النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري، المنهاج شرح صحيح مسلم، ط ٢، (بيروت، دار إحياء التراث العربي،

١٣٩٢هـ)، ٢ / ٩٠.

المبحث الثاني: الجهل:

هذه الصفة كسابقتها، وردت في كتاب الله تعالى - في أكثر من عشرين موضعا بتصريفاتها المختلفة - مقرونة بالذم والتحذير، وهي من أخطر وأعظم الأسباب في مخالفة الحق ومحاربتة.

المطلب الأول: تعريف الجهل:

تعريف الجهل لغة:

قال ابن فارس: " الجيم والهاء واللام أصلان: أحدهما خلاف العلم، والآخر الخفة وخلاف الطمأنينة. فالأول الجهل نقيض العلم، ويقال للمفازة التي لا علم بها مجهل. والثاني قولهم للخشبة التي يحرك بها الجمر مجهل، ويقال استجهلت الريح الغصن، إذا حركته فاضطرب"^(١).

تعريف الجهل اصطلاحا:

قال ابن نجيم: " وأما الجهل فحقيقته عدم العلم عما من شأنه العلم ؛ فإن قارن اعتقاد النقيض فهو مركب، وهو المراد بالشعور بالشيء على خلاف ما هو به وإلا فبسيط وهو المراد بعدم الشعور."^(٢)

المطلب الثاني: أنواع الجهل:

والجهل على ثلاثة أضرب^(٣): - الأول: هو خلو النفس من العلم.

- الثاني: اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه.

- الثالث: فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل، سواء اعتقد فيه اعتقادا صحيحا أو فاسدا.

كمن يترك الصلاة متعمدا، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالُوا أَنَّنَّحْدُنَا هُزُوءًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ

الْجَاهِلِينَ ﴾^(١)، فجعل فعل الهزؤ جهلا.

(١) ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (بيروت، دار الفكر) ٤٨٩/١.

(٢) ابن نجيم، زين العابدين بن إبراهيم، الأشباه والنظائر، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٠هـ، (١٩٨٠م)، ص: ٣٠٣.

(٣) الأصفهاني، مصدر سابق، ص ١٤٤.

المطلب الثالث: كون الجهل سببا في الاعتراض على الله تعالى:

والجهل من أعظم الأسباب وأكثرها عند المعترضين على الحق؛ وذلك أن من جهل شيئا عاداه، وقد جاء ذكر ذلك صراحة في مواضع كثيرة من كتاب الله تعالى:

فها هو موسى عليه السلام يصف قومه بالجهل لما طالبوه أن يتخذ لهم العجل إلهًا من دون الله تعالى، قال جل شأنه: ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ (٢).

وها هو نوح عليه السلام يصف قومه بذلك أيضا لما اعتراضوا عليه في دعوته بكون أتباعه من الأراذل حسب زعمهم، قال سبحانه: ﴿وَيَقَوْمٍ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَآلِئَ إِن آجَرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلْتَقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٣٩﴾ (٣).

وقد ضرب الله جل وعلا لجهل الكفار المعترضين على الحق مثلين، أولهما لأهل الجهل البسيط، والثاني لأهل الجهل المركب، فقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظَلَمْتِ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ مُّظْلِمَتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرِيهَا وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ (٤).

(١) سورة البقرة، جزء من الآية: ٦٧.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٣٨.

(٣) سورة هود، الآية: ٢٩.

(٤) سورة النور، الآيتان: ٣٩ و ٤٠.

المبحث الثالث: اتباع الآباء:

إن من أعظم أسباب الاعتراض على الحق تقليد الآباء والأجداد والتعصب لما كانوا عليه من الباطل، وقد أخبر الله جل شأنه أن الكفار من الأمم جميعاً اعترضوا بهذا الاعتراض على أنبيائهم في ما دعوهم إليه من توحيد الله تعالى بالعبادة واتباع الهدى الذي جاؤوا به، فقال سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ (٢٣) (١).

قال الإمام الطبري رحمه الله: "وقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ يقول: قالوا: إنا وجدنا آباءنا على ملة ودين ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ﴾ يعني: وإنا على منهاجهم وطريقتهم مقتدون بفعلهم نفعل كالذي فعلوا، ونعبد ما كانوا يعبدون؛ يقول جل ثناؤه لمحمد ﷺ: فإنما سلك مشركو قومك منهاج من قبلهم من إخوانهم من أهل الشرك بالله في إجابتهم إياك بما أجابوك به، وردهم ما ردوا عليك من النصيحة، واحتجاجهم بما احتجوا به لمقامهم على دينهم الباطل." (٢)

(١) سورة الزحرف، الآية: ٢٣.

(٢) أبو جعفر الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط ١، (الرياض، مؤسسة الرسالة)،

الفصل الثالث: الأساليب الدالة على اعتراض الكفار في القرآن الكريم:

إن الأساليب التي يأتي بها اعتراض الكفار في القرآن الكريم كثيرة ومتنوعة، إلا أنها ومع ذلك تتفق جميعها على معنى المدافعة والمنازعة للحق الذي بعث به الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام. وهذا الاعتراض قد يكون بالقول وقد يكون بالفعل.

ولإبراز هذه الأساليب أفصلها في المباحث الآتية:

المبحث الأول: الجدل:

هذا من الأساليب التي ورد ذكرها في القرآن الكريم كثيرا في حوارات الأنبياء مع أقوامهم، وهو أسلوب قد يكون ممدوحا وقد يكون مذموما بحسب الدوافع كما سيأتي إن شاء الله.

المطلب الأول: تعريف الجدل:

تعريف الجدل لغة:

"الجدال: المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، وكأن المتجادلين يقتل كل واحد الآخر عن رأيه"^(١).

الجدال اصطلاحا:

الجدال: عبارة عن مرء يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها، والجدل: دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه وهو الخصومة في الحقيقة^(٢).

المطلب الثاني: حكم الجدل:

الجدال إذا تعلق بإظهار الحق وبيانه، فإنه يكون محمودا، وقد أمر الله ﷻ بذلك فقال:

﴿وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(١).

(١) الراغب، مصدر سابق، مادة: "جدل"، ص: ١٣٠.

(٢) الجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط ١، (بيروت: دار الكتاب العربي ١٤٠٥هـ —)،

وأما إذا كان من أجل دفع الحق وإخفائه، فهو المذموم، وهو المقصود عندنا في هذا البحث.

وقد ذم الله جل وعلا المجادلين في آياته بالباطل، كما في قوله: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كَبْرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ (٣٥) (٢).

المطلب الثالث: الاعتراض بأسلوب الجدال:

جاء ذلك صريحا في كثير من المواضع في القرآن الكريم خاصة في قصص الأنبياء، كما قال المولى

جل وعلا: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ (٥) وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٦) (٣).

قال الإمام السعدي في تفسير هذه الآيات:

"يخبر تبارك وتعالى أنه ما يجادل في آياته إلا الذين كفروا والمراد بالمجادلة هنا، المجادلة لرد آيات الله ومقابلتها بالباطل، فهذا من صنيع الكفار، وأما المؤمنون فيخضعون لله تعالى الذي يلقي الحق ليدحض به الباطل، ولا ينبغي للإنسان أن يغتر بحالة الإنسان الدنيوية، ويظن أن إعطاء الله إياه في الدنيا دليل على محبته له وأنه على الحق ولهذا قال: ﴿فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾ أي: ترددهم فيها بأنواع التجارات والمكاسب، بل الواجب على العبد، أن يعتبر الناس بالحق، وينظر إلى الحقائق الشرعية ويزن بها الناس، ولا يزن الحق بالناس، كما عليه من لا علم ولا عقل له.

(١) سورة النحل، جزء من الآية: ١٢٥.

(٢) سورة غافر، الآية: ٣٥.

(٣) سورة غافر، الآيات: ٤- ٦.

ثم هدد من جادل بآيات الله ليبطلها، كما فعل من قبله من الأمم من قوم نوح وعاد والأحزاب من بعدهم، الذين تحزبوا وتجمعوا على الحق ليبطلوه، وعلى الباطل لينصروه، وأنه بلغت بهم الحال، وآل بهم التحزب إلى أنه ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ﴾ من الأمم ﴿بِرِسْوَلِهِمَّ لِيَأْخُذُوهُ﴾ أي: يقتلوه. وهذا أبلغ ما يكون الرسل الذين هم قادة أهل الخير الذين معهم الحق الصرف الذي لا شك فيه ولا اشتباه، هموا بقتلهم، فهل بعد هذا البغي والضلال والشقاء إلا العذاب العظيم الذي لا يخرجون منه؟ ولهذا قال في عقوبتهم الدنيوية والأخروية: ﴿فَأَخَذْتُمُوهُمْ﴾ أي: بسبب تكذيبهم وتحزبهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ كان أشد العقاب وأفظعه، ما هو إلا صيحة أو حاصب يترل عليهم أو يأمر الأرض أن تأخذهم، أو البحر أن يغرقهم فإذا هم خامدون.

﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: كما حقت على أولئك، حقت عليهم كلمة الضلال التي نشأت عنها كلمة العذاب، ولهذا قال: ﴿أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾^(١).

المبحث الثاني: الاستهزاء:

هذا من الأساليب الخبيثة التي سلكها الكفار والمجرمين في تعاملهم مع الحق وأهله، ولذلك حذر منه القرآن الكريم وذمه وتوعد عليه بالعذاب الشديد.

المطلب الأول: تعريف الاستهزاء:

الاستهزاء لغة: (هزأ) الهاء والراء والهمزة كلمة واحدة. يقال: هزئ واستهزأ، إذا سخر^(٢).

الاستهزاء اصطلاحاً: يتضمن معنى "السخرية والاستهانة والتحقير والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول وقد يكون بالإشارة والإيماء"^(٣).

(١) السعدي، مصدر سابق، ص: ٧٣١.

(٢) ابن فارس، مصدر سابق، مادة: "هزأ"، ٥٢/٦.

(٣) الغزالي، مصدر سابق، ٣ / ١٣١.

المطلب الثاني: خطورة الاستهزاء:

وخطر الاستهزاء عظيم، وعاقبته وخيمة، وخاصة إذا كان ذلك بالله ورسله وآياته، وقد حكم الله سبحانه بكفر المستهزين في القرآن الكريم فقال: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزَؤُوا إِنَّا اللَّهُ مُخْرِجُ مَا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعَفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةٌ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ (١).

المطلب الثالث: الاستهزاء مسلك كل المعترضين على الحق:

والاستهزاء سنة سيئة سار عليها جميع المعترضين على الرسل عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٧﴾﴾ (٢).

قال الإمام الطبري رحمه الله: "يقول تعالى ذكره: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ﴾ يا محمد في القرون الأولى الذين مضوا قبل قرنك الذي بعثت فيه كما أرسلناك في قومك من قريش. ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ يقول وما كان يأتي قرنا من أولئك القرون وأمة من أولئك الأمم الأولى لنا من نبي يدعوهم إلى الهدى وطريق الحق، إلا كان الذين يأتيهم ذلك من تلك الأمم نبيهم الذي أرسله إليهم يستهزئون سخرية منهم بهم كاستهزاء قومك بك يا محمد. يقول: فلا يعظمن عليك ما يفعل بك قومك، ولا يشقنّ عليك، فإنهم إنما سلخوا في استهزائهم بك مسلك أسلافهم، ومنهاج أئمتهم الماضين من أهل الكفر بالله. (٣)".

(١) سورة التوبة، الآيات: ٦٤-٦٦.

(٢) سورة الزخرف، الآيات: ٦-٧.

(٣) ابن جرير، مصدر سابق، ٢١/ ٥٧١.

المبحث الثالث: التكذيب:

لقد أورد القرآن الكريم في وصف الكفار بهذه الصفة الخسيسة والشنيعة أكثر من غيرها من الصفات الذميمة، وقل أن يذكر موقف لهؤلاء إلا ويسجل عليهم هذا الأسلوب في مواجهة الحق ومن يدعو إليه.

المطلب الأول: تعريف التكذيب:

تعريف التكذيب لغة:

قال الفيومي: "كَذَّبْتُهُ تَكْذِيبًا: نسبته إلى الكذب أو قلت له كذبت"^(١).

التكذيب اصطلاحاً:

التكذيب هو ضد التصديق في كل الأمور وكانت العرب تقول ذلك في الحرب، قال صاحب

اللسان:

"والتكذيب في القتال ضد الصدق فيه يقال صدق القتال إذا بذل فيه الجِد"^(٢).

المطلب الثاني: خطورة التكذيب:

إن مما يبين خطورة هذه الصفة الذميمة أن الله تبارك وتعالى جعل أهلها أظلم الخلق، قال

سبحانه: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمُ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكُذْبِ﴾^(٣)،

وقال: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى

لِّلْكَافِرِينَ﴾^(٤).

(١) الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ، المصباح المنير، (بيروت، المكتبة العلمية): مادة: "كذب"، ٥٢٨/٢.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي المصري، لسان العرب، ط ١، (بيروت: دارصادر)، مادة: "كذب"، ٣٨٤٢/٥.

(٣) سورة الأعراف، جزء من الآية: ٣٧.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٣٢.

المطلب الثالث: التكذيب من أشنع الأساليب في الاعتراض على الحق:

إن مما لاشك فيه عند كل عاقل أن الأنبياء هم أصدق الناس حديثاً، وأبلغهم أمانة، قد اختارهم الله تعالى واصطفاهم لرسالته، ولذلك كان تكذيبهم في دعوتهم وما بعثوا به من الحق من أعظم الكفر والإجرام عند الله تعالى.

وقد ورد ذكر تكذيب الكفار واعتراضهم على الحق الذي جاءت به الرسل في أكثر من ستين موضعاً في القرآن الكريم، من أجمعها قول الحق جل وعلا: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّيْسِ وَثَمُودُ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ۗ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ۗ﴾ (١).

قال الإمام السعدي رحمه الله: "أي: كذب الذين من قبلهم من الأمم، رسلهم الكرام، وأنبياءهم العظام، كـ "نوح" كذبه قومه، وثمود كذبوا صالحاً، وعاد كذبوا "هوداً" وإخوان لوط كذبوا "لوطاً" وأصحاب الأيكة كذبوا "شعيباً" وقوم تبع- وتبع كل ملك ملك اليمن في الزمان السابق قبل الإسلام - فقوم تبع كذبوا الرسول الذي أرسله الله إليهم، ولم يخبرنا الله من هو ذلك الرسول، وأي تبع من التبابعة، لأنه -والله أعلم- كان مشهوراً عند العرب لكونهم من العرب العرباء، الذين لا تخفى مجرياتهم على العرب خصوصاً مثل هذه الحادثة العظيمة.

فهؤلاء كلهم كذبوا الرسل، الذين أرسلهم الله إليهم، فحق عليهم وعيد الله وعقوبته، ولستم أيها المكذبون لمحمد ﷺ، خيراً منهم، ولا رسلهم أكرم على الله من رسولكم، فاحذروا جرمهم، لئلا يصيبكم ما أصابهم." (٢).

(١) سورة ق، الآيات: ١٢ - ١٤.

(٢) السعدي، مصدر سابق، ص: ٥١٨.

المبحث الرابع: الاقتراح:

هذا الأسلوب بهذا اللفظ لم يرد له ذكر في كتاب الله تعالى، لكنه ورد ما يدل عليه في مواقف الأقبام الكافرة من دعوات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

المطلب الأول: تعريف الاقتراح:

تعريف الاقتراح لغة:

قال صاحب اللسان: "الاقتراح ارتجال الكلام والاقتراح ابتداء الشيء تبدعه وتقرحه من ذات نفسك من غير أن تسمعه وقد اقترحه فيهما واقترح عليه بكذا تحكم وسأل من غير روية واقترح البعير ركه من غير أن يركبه أحد واقترح السهم وقرح بدئ عمله"^(١).

الاقتراح اصطلاحاً:

من خلال التعريف اللغوي لهذا المصطلح يتبين أنه يدور على ابتداء الشيء من غير سماع، وهو ما يقصد به نفسه في الأفكار والآراء، فكل فكرة تها وتشرح وتقدم للبحث والحكم تسمى اقتراحاً^(٢).

المطلب الثاني: كثرة اعتراضات الكفار باقتراح الآيات:

لقد أخبر المولى جل وعلا في كتابه عن كثرة اعتراض الكفار والمشركين على أنبيائهم عليهم الصلاة والسلام واقتراحهم الآيات التعجيزية، ولنستمع إلى هذا النموذج الذي ذكره الله تعالى عن كفار قريش في اقتراحهم على النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ۙ ۙ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّحِيلٍ وَعَنْبٍ فَفُجِرَ الْأَنْهَارَ خِلَافًا تَفْجِيرًا ۙ ۙ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بِلِلِّهِ وَالْمَلَكَةِ فَيَلَا ۙ ۙ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن

(١) ابن منظور، مصدر سابق، مادة: "قرح"، ٣٥٧٢ / ٥.

(٢) المعجم الوسيط، مصدر سابق، مادة: "قرح"، ٧٢٤ / ٢.

زُخْرَفٍ أَوْ تَرَفَّى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرِيقِكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٣﴾ (١).

قال العلامة الشنقيطي رحمه الله في أضواء البيان: "بين الله جل وعلا في هذه الآيات الكريمة شدة عناد الكفار وتعنتهم، وكثرة اقتراحاتهم لأجل التعنت لا لطلب الحق؛ فذكر أنهم قالوا له ﷺ: إنهم لن يؤمنوا له - أي: لن يصدقوه - حتى يفجر لهم من الأرض ينبوعا، وهو يفعل من: نبع، أي: ماء غزير، ومنه قوله تعالى: فسلكه ينابيع في الأرض أو تكون لك جنة، أي بستان من نخيل وعنب، فيفجر خلالها - أي وسطها - أنهارا من الماء، أو يسقط السماء عليهم كسفا: أي قطعاً كما زعم، أي في قوله تعالى: ﴿إِنْ نَشَأْ نُخَسِّفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ (٢)، أو يأتيهم بالله والملائكة قبيلة: أي معاينة. قاله قتادة وابن جريج كقوله: ﴿لَوْلَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْمَلَائِكَةَ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ (٣).

وقال بعض العلماء: قبيلة: أي كفيلا؛ من تقبله بكذا: إذا كفله به. والقبيل والكفيل والزعيم بمعنى واحد. وقال الزمخشري: قبيلة بما تقول: شاهدا بصحته، وكون القبيل في هذه الآية بمعنى الكفيل مروى عن ابن عباس والضحاك. وقال مقاتل: قبيلة شهيدا. وقال مجاهد: هو جمع قبيلة؛ أي تأتي بأصناف الملائكة، وعلى هذا القول فهو حال من الملائكة. أو يكون له بيت من زخرف: أي من ذهب. ومنه قوله "في الزخرف": ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لَبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ﴾ - إلى قوله - ﴿وَزُخْرَفًا﴾ (٤)، أي ذهباً. أو يرقى في السماء: أي يصعد فيه، وإنهم لن يؤمنوا لرقبه، أي من أجل صعوده، حتى يترل عليهم كتابا يقرءونه. وهذا التعنت والعناد العظيم الذي ذكره جل وعلا عن الكفار هنا بينه في مواضع أخرى، وبين أنهم لو فعل الله ما اقترحوا ما آمنوا. لأن

(١) سورة الإسراء، الآيات: ٩٠ - ٩٣.

(٢) سورة سبأ، جزء من الآية: ٩.

(٣) سورة الفرقان، جزء من الآية: ٢١.

(٤) سورة الزخرف، الآيات: ٣٣-٣٥.

من سبق عليه الشقاء لا يؤمن ؛ كقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾^(١)، وقوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكِيَّةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبَلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾^(٢)، وقوله: ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴾^(٣) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾^(٤)، وقوله: ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾^(٥)، وقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾^(٦) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾^(٧)، والآيات بمثل هذا كثيرة.

وقوله في هذه الآية: كتابا نقرؤه، أي كتابا من الله إلى كل رجل منا.

ويوضح هذا قوله تعالى في المدثر: ﴿ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُّنشَرَةً ﴾^(١)، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﴾^(٢). وقوله وقوله في هذه الآية الكريمة: ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾^(٣)، أي تزيها لربي جل وعلا عن كل ما لا يليق به، ويدخل فيه تزيهه عن العجز عن فعل ما اقترحتهم، فهو قادر على كل شيء، لا يعجزه شيء، وأنا بشر أتبع ما يوحيه إلي ربي^(٤).

(١) سورة الأنعام، الآية: ٧.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١١١.

(٣) سورة الحجر، الآيتان: ١٤ - ١٥.

(٤) سورة الأنعام، جزء من الآية: ١٠٩.

(٥) سورة الأنعام، الآيتان: ٩٦ - ٩٧.

(٦) سورة المدثر، الآية: ٥٢.

(٧) سورة الأنعام، جزء من الآية: ١٢٤.

(٨) الشنقيطي، مصدر سابق، ٣/ ١٨٣ - ١٨٤.

البَابُ الثَّانِي

الأفراد والطوائف

المعتزلة في القرآن الكريم

الفصل الأول: إبليس اللعين:

أكثر الله تعالى في القرآن الكريم من ذكر قصة إبليس مع أبينا آدم عليه السلام، فقد ورد ذكرها في سبع سور، وهي: البقرة، والأعراف، والحجر، والإسراء، والكهف، وطه، وص.

المبحث الأول: التعريف بإبليس اللعين:

"إبليس اسم الشيطان الأول الذي هو مولد الشياطين، فكان إبليس لنوع الشياطين والجن بمتزلة آدم لنوع الإنسان. وإبليس اسم معرب من لغة غير عربية لم يعينها أهل اللغة، ولكن يدل لكونه معرباً أن العرب منعه من الصرف ولا سبب فيه سوى العلمية والعجمة ولهذا جعل الزجاج همزته أصلية، وقال وزنه على فعليل. وقال أبو عبيدة: هو اسم عربي مشتق من الإبلّاس وهو البعد من الخير واليأس من الرحمة وهذا اشتقاق حسن لولا أنه يتأكد منعه من الصرف وجعلوا وزنه إفعال لأن همزته مزيدة وقد اعتذر عن منعه من الصرف بأنه لما لم يكن له نظير في الأسماء العربية عد بمتزلة الأعجمي وهو اعتذار ركيك. وأكثر الذين أحصوا الكلمات المعربة في القرآن لم يعدوا منها اسم إبليس لأنهم لم يتبينوا ذلك وصلاحيه الاسم لمادة عربية ومناسبتها لها"^(١).

"وأما حقيقة إبليس: فللعلماء فيها آريان:

- الأول: أنه من الجن، والجن سبط من الملائكة خلقوا من نار، وإبليس منهم. ودليله واضح من قوله

تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾^(٢).

- والثاني: أنه كان من الملائكة: لأن خطاب السجود كان للملائكة، ولأن الظاهر من هذه الآية وأمثالها أنه

منهم، قال ابن عباس: كان إبليس من الملائكة، فلما عصى الله، غضب عليه، فلغنه، فصار شيطانا"^(٣).

ولعل القول الأول هو الراجح لأن الملائكة لاتعصي الله تعالى.

(١) ابن عاشور، مصدر سابق، ٤٢٧/١:.

(٢) سورة الكهف، جزء من الآية: ٥٠.

(٣) الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والمنهاج، ط٢، (دمشق، دار الفكر المعاصر، ١٤١٨هـ-)، ١٣٥/١:.

المبحث الثاني: كون إبليس اللعين أول المعترضين على رب العالمين، وشبهته في ذلك:

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: " إن معارضة الوحي بالعقل ميراث عن الشيخ أبي مرة^(١)، فهو أول من عارض السمع بالعقل وقدمه عليه فإن الله سبحانه لما أمره بالسجود لآدم عارض أمره بقياس عقلي مركب من مقدمتين حمليتين:

- إحداهما قوله أنا خير منه فهذه هي الصغرى.

- والكبرى محذوفة تقديرها والفاضل لا يسجد للمفضول.

وذكر مستند المقدمة الأولى: وهو أيضا قياس حملي حذف إحدى مقدمتيه فقال خلقتني من نار وخلقته من طين.

والمقدمة الثانية: كأنها معلومة؛ أي ومن خلق من نار أفضل ممن خلق من طين.

فهما قياسان متداخلان، وهذه يسميها المنطقيون: الأقيسة المتداخلة.

فالقيااس الأول: هكذا أنا خير منه، وخير المخلوقين لا يسجد لمن هو دونه، وهذا من الشكل الأول. والقياس الثاني هكذا: خلقتني من نار وخلقته من طين والمخلوق من النار خير من المخلوق من الطين. فنتيجة هذا القياس العقلي أنا خير منه، ونتيجة الأول ولا ينبغي لي أن أسجد له.

وأنت إذا تأملت مادة هذا القياس وصورته رأيت أنه أقوى من كثير من قياساتهم التي عارضوا بها الوحي وقدموها عليه والكل باطل.

وقد اعتذر أتباع الشيخ له بأعذار:

- منها أنه لما تعارض عنده العقل والنقل قدم العقل.

(١) أبو مرة: هي كنية إبليس لعنه الله، ينظر لسان العرب، مادة: "مرر"، ١٦٥/٥.

- ومنها أن الخطاب بصيغة الضمير في قوله اسجدوا لا عموم له فإن الضمائر ليست من صيغ العموم

- ومنها أنه وإن كان اللفظ عاما فإنه خصه بالقياس المذكور.

- ومنها أنه لم يعتقد أن الأمر للوجوب بل حمّله على الاستحباب لأنه المتيقن أو على الرجحان دفعا للاشتراك والمجاز.

- ومنها أنه حمّله على التراخي ولم يحمله على الفور.

- ومنها أنه صان جناب الرب أن يسجد لغيره ورأى أنه لا يليق به السجود لسواه.

فبالله تأمل هذه التأويلات وقابل بينها وبين كثير من التأويلات التي يذكرها كثير من الناس والمعارضات التي عارض بها النصوص، وفي بني آدم من يصبو رأي إبليس وقياسه ويقول الصواب معه ولهم في ذلك تصانيف، وكان بشار بن برد الأعمى^(١) الشاعر على هذا المذهب يقول في قصيدته الرائية:

الأرض مظلمة سوداء مقتمة * والنار معبودة مذ كانت النار^(٢)

ولما علم الشيخ أنه قد أصيب من معارضة الوحي بالعقل، وعلم أنه لا شيء أبلغ في مناقضة الوحي والشرع وإبطاله من معارضته بالعقول، أوحى إلى تلامذته وإخوانه من الشبهات الخيالية ما يعارض به الوحي وأوهم أصحابه وتلاميذه أنها قواطع عقلية، وقال إن قدمتم الوحي عليها فسدت عقولكم، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُوحِيَ إِلِيَٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّ لَوْكُمْ وَإِن أَطَعْتُمْهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾^(٣)

(١) هو بشار بن برد، أبو معاذ، وهو من موالى بني عقيل، اتهم بالزندقة، فضربه المهدي سبعين سوطا ليقر فمات منها، وقيل كان يفضل النار، ويتنصر لإبليس، هلك سنة ١٦٧، وبلغ التسعين، ينظر: سير أعلام النبلاء، ٢٤/٧.

(٢) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٧ (القاهرة، مكتبو الخانجي، ١٩٩٨م)، ١٦/١.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٢١.

ومن المعلوم أن وحيهم إنما هو شبه عقلية، وقال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينَ الْإِنْسِ وَالْإِنْسِ يُوحى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَّهُمْ وَمَا يُفْقَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِنَصِّغِيَ إِلَيْهِ أَفْعِدَةَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۗ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ ﴿١﴾ (٢).

المبحث الثالث: بيان فساد اعتراض اللعين على أمر الله تعالى:

لكون هذا اللعين رأس المعارضين وإمامهم، كان من اللازم تقديم بيان فساد اعتراضه "الذي عارض به الوحي وذلك من وجوه:

- أحدها: إنه قياس في مقابلة النص والقياس إذا صادم النص وقابله كان قياسا باطلا ويسمى قياسا إبليسيا فإنه يتضمن معارضة الحق بالباطل وتقديمه عليه ولهذا كانت عقوبته أن أفسد عليه عقله ودينه وآخرته وقد بينا فيما تقدم أنه ما عارض أحد الوحي بعقله إلا أفسد الله عليه عقله حتى يقول ما يضحك منه العقلاء.

- الثاني: إن قوله أنا خير منه كذب، ومستنده في ذلك باطل، فإنه لا يلزم من تفضيل مادة على مادة تفضيل المخلوق منها على المخلوق من الأخرى، فإن الله سبحانه يخلق من المادة المفضولة ما هو أفضل من المخلوق من غيرها، وهذا من كمال قدرته سبحانه، ولهذا كان محمد وإبراهيم وموسى وعيسى ونوح والرسول أفضل من الملائكة. ومذهب أهل السنة أن صالحى البشر أفضل من الملائكة، وإن

(١) سورة الأنعام، الآيات: ١١٢-١١٧.

(٢) ابن القيم، مصدر سابق: ٣/٩٩٨-١٠٠١.

كانت مادتهم نورا ومادة البشر ترابا، فالتمييز ليس بالمواد والأصول؛ ولهذا كان العبيد والموالي الذين آمنوا بالله ورسوله خيرا وأفضل عند الله ممن ليس مثلهم من قريش وبني هاشم.

وهذه المعارضة الإبلية صارت ميراثا في أتباعه في التقديم بالأصول والأنساب على الإيمان والتقوى وهي التي أبطلها الله عز وجل بقوله: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (١).

وقال النبي: "إن الله وضع عنكم عيبة الجاهلية وفخرها بالآباء الناس مؤمن تقي وفاجر شقي" (٢)، وقال: "لا فضل لعربي على عجمي ولا عجمي على عربي ولا لأبيض على أسود ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى الناس من آدم وآدم من تراب" (٣)، فانظر إلى سريان هذه النكتة الإبلية في نفوس أكثر الناس من تفضيلهم بمجرد الأصول والأنساب.

- الثالث: إن ظنه أن النار خير من التراب باطل، مستنده ما فيها من الإضاءة والخفة وما في التراب من الثقل والظلمة، ونسي الشيخ ما في النار من الطيش والخفة وطلب العلو والإفساد بالطبع حتى لو وقع منها شواظ بقدر الحبة في مدينة عظيمة لأفسدها كلها ومن فيها، بل التراب خير من النار وأفضل من وجوه متعددة:

- منها أن طبعه السكون والرزانة والنار بخلافه.

- ومنها أنه مادة الحيوان والنبات والأقوات والنار بخلافه.

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٢) سنن أبي داود، كتاب: باب في التفاخر بالأحساب، ٤/٤٩٢، رقم الحديث: ٥١١٨. سنن الترمذي، باب في فضائل الشام

واليمن، ٥/٧٣٥، رقم الحديث: ٣٩٥٦. والحديث قال فيه الشيخ الألباني: حسن.

(٣) مسند الإمام أحمد، ٣٨/٤٧٤، رقم الحديث: ٢٣٤٨٩، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم: ٢٧٠٠، ٤٤٩/٦.

- ومنها أنه لا يمكن أحدا العيش بدون ما خلق منه البتة ويمكنه أن يعيش برهة بلا نار قالت عائشة: "يمر بنا الشهر والشهران ما نوقد في بيوتنا نارا أو ما نرى نارا قال لها عروة فما كان قوتكم قالت الأسودان التمر والماء"^(١).

- ومنها أن الأرض تؤدي إليك بما فيها من البركة أضعاف أضعاف ما تودعه من الحب والنوى وتربيه لك وتغذيه وتنميه والنار تفسده عليك وتمحق بركته.

- ومنها أن الأرض مهبط وحي الله ومسكن رسله وأنبيائه وأوليائه وكفاتهم أحياء وأمواتا والنار مسكن أعدائه ومأواهم.

- ومنها أن في الأرض بيته الذي جعله إماما للناس وقياما لهم وجعل حجه محطا لأوزارهم ومكفرا لسيئاتهم وجالبا لهم مصالح معاشهم ومعادهم.

- ومنها أن النار طبعها العلو والفساد وأن الله لا يحب المستكبرين ولا يحب المفسدين والأرض طبعها الخشوع والإخبات والله يحب المحبتين الخاشعين وقد ظهر هذا بخلق إبراهيم ومحمد وموسى وعيسى والرسل من المادة الأرضية وخلق إبليس وجنوده من المادة النارية نعم وخلق من المادة الأرضية الكفار والمشركين ومن المادة النارية صالحى الجن ولكن ليس في هؤلاء مثل إبليس وليس في أولئك مثل الرسل والأنبياء فمعلم الخير من المادة الأرضية ومعلم الشر من المادة النارية.

- ومنها أن النار لا تقوم بنفسها بل لا بد لها من محل تقوم به لا تستغني عنه وهي محتاجة إلى المادة الترابية في قوامها وتأثيرها والأرض قائمة بنفسها لا تحتاج إلى محل تقوم به ولا يفتقر قوامها ونفعها إلى النار.

- ومنها أن التراب يفسد صورة النار ويبطلها ويقهرها وإن علت عليه.

- ومنها أن الرحمة تنزل على الأرض فتقبلها وتحى بها وتخرج زينتها وأقواها وتشكر ربها، وتنزل على النار فتأبأها وتطفيها وتمحوها وتذهب بها، فيبينها وبين الرحمة معاداة وبين الأرض وبين الرحمة موالاتة وإخاء.

(١) صحيح البخاري، كتاب: الهبة وفضلها، الحديث رقم: ٢٥٦٧، وصحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، رقم الحديث: ٢٩٧٢.

- ومنها أن النار تطفأ عند التكبير^(١) فتضمحل عند ذكر كبرياء الرب ولهذا يهرب المخلوق منها
منها عند الأذان حتى لا يسمعه والأرض تبتهج بذلك وتفرح به وتشهد به لصاحبه يوم القيامة ويكفي
في فضل المخلوق من الأرض على المخلوق من النار أن الله سبحانه خلقه بيديه ونفخ فيه من روحه
وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء.

فهل حصل للمخلوق من النار واحدة من هذه؟ فقد تبين لك حال هذه المعارضة العقلية للسمع
وفسادها من هذه الوجوه وأكثر منها، وهي من شيخ القوم ورئيسهم ومعلمهم الأول فما الظن بمعارضة
التلامذة ونحن نقول قولاً نقدم بين يديه مشيئة الله وحوله والاعتراف بمنته علينا وفضله لدينا وأنه محض
منته وجوده وفضله فهو المحمود أولاً وآخراً على توفيقنا له وتعليمنا إياه إن كل شبهة من شبه أرباب
المعقولات عارضوا بها الوحي فعندنا ما يبطلها بأكثر من الوجوه التي أبطلنا بها معارضة شيخ القوم وإن
مد الله في الأجل أفردنا في ذلك كتاباً كبيراً ولو نعلم أن في الأرض من يقول ذلك ويقوم به تبلغ إليه
أكباد الإبل لاقتدينا بالمسير إليه بموسى في سفره إلى الخضر وبجابر بن عبد الله في سفره إلى عبد الله بن
أنيس لسما ع حديث واحد ولكن أزهده الناس في العالم قومه وقد قام قبلنا بهذا الأمر من برز به على أهل
الأرض في عصره وفي الأعصار قبله فأدرك من قبله وحيداً وسبق من بعده سبقاً بعيداً واستنقذ النصوص
من أيدي الملحددين ونفى عنها تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين وجعل ملوك أرباب
المعقولات المعارضين لها أسرى في أيدي المسلمين وأخذ عليهم بمجامع الطرق حتى لم يبق لهم مدد ولا
كمين فجرى عليه من تلامذة هذا الشيخ وأتباعه من الجاهلين والمعاندين والمعتلين ما جرى على من قام
مقامه على مر السنين.

مضوا ومضى ثم التقوا عند ربهم * فأخروهم للحكم يوم التخاصم^{(٢)»(٣)}

(١) ورد في حديث: "إذا رأيتم الحريق فكبروا فإنه يطفى النار"، قال في الجامع الصغير: رواه ابن عدي عن ابن عباس، وقال الشيخ
الألباني: ضعيف، (ضعيف الجامع الصغير) رقم الحديث: ٥٠٥.
(٢) لم أقف على قائله حسب ما اطلعت عليه من مراجع، ولعله من قول الإمام ابن القيم.
(٣) ابن القيم، مصدر سابق، ٣/١٠٠٢-١٠٠٨:.

الفصل الثاني: المنكرون لربوبية الله تعالى:

عامّة الأمم السالفة واللاحقة مقرون بربوبية الله تعالى، ولم يقع إنكار ربوبيته تعالى من البشر إلا من شرذمة قليلة من الأمم الغابرة، وشذاذ من المتأخرين كأمثال الشيوعيين والملاحدة، وقد ذكر الله تعالى إقرار هؤلاء بالإيمان واليقين في أنفسهم كما في قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَحَدُّوا بِهَا وَأَسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١﴾، كما ذكر الله تعالى في كتابه الكريم إقرار المشركين من العرب بتوحيد الربوبية، فقال تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾، وقال في آية أخرى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾. (٣)

والذين نص القرآن على إنكارهم واعتراضهم على ربوبية الله تعالى شخصان متحبران متكبران، أهلكتهما الله تعالى شر هلكة، وهما النمروود الذي بعث الله إليه إبراهيم عليه الصلاة والسلام، والثاني فرعون الذي بعث الله إليه موسى عليه الصلاة والسلام.

(١) سورة النمل، الآيتان: ١٣-١٤.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٩.

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٨٧.

المبحث الأول: النمرود الملك المتجبر:

هذا المتجبر هو أول من أنكر ربوبية الله تعالى فيما جاء ذكره في القرآن، وهو الذي حكى الله مناظرته مع إبراهيم الخليل عليه السلام.

المطلب الأول: التعريف بالنمرود المتجبر:

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: " قال المفسرون وغيرهم من علماء النسب والأخبار وهذا الملك هو ملك بابل واسمه النمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح قاله مجاهد.

وقال غيره نمرود بن فالح بن عابر بن صالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح قال مجاهد وغيره وكان أحد ملوك الدنيا فإنه قد ملك الدنيا فيما ذكروا أربعة مؤمنان وكافران.

فالمؤمنان ذو القرنين وسليمان.

والكافران النمرود وبختنصر، وذكروا أن نمرود هذا استمر في ملكه أربعمئة سنة وكان قد طغا وبعى وتجبر وعتا وآثر الحياة الدنيا"^(١).

المطلب الثاني: ذكر قصة النمرود المتجبر واعتراضه على ربوبية الله:

ذكر الله جل وعلا قصة هذا المتجبر الذي غره ملكه فادعى ما هو من خصوصيات الرب جل وعلا، في موضع واحد من القرآن أثناء الحديث عن الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

قال المولى جل وعلا: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾^(٢).

(١) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل الدمشقي، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، ط ١، (دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٨)،

١٧١/١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٨.

قال أبو جعفر: "يعني تعالى ذكره بذلك: ألم تر، يا محمد، إلى الذي حاج إبراهيم في ربه حين قال له إبراهيم: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ يعني بذلك: ربي الذي بيده الحياة والموت، يحيي من يشاء ويميت من أراد بعد الإحياء. قال: أنا أفعل ذلك، فأحيي وأميت، أستحيي من أردت قتله فلا أقتله، فيكون ذلك مني إحياء له، وذلك عند العرب يسمى "إحياء"، كما قال تعالى ذكره: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَانَتْ أَحْيَا النَّاسِ جَمِيعًا﴾^(١)، وأقتل آخر: فيكون ذلك مني إماتة له.

قال إبراهيم ﷺ: فإن الله الذي هو ربي يأتي بالشمس من مشرقها، فأت بها- إن كنت صادقاً أنك إله- من مغربها! قال الله تعالى ذكره: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾، يعني انقطع وبطلت حجته"^(٢).
وقد رد الحافظ ابن كثير رحمه أن يكون المقصود بالإحياء والإماتة ما نقله الإمام ابن جرير رحمه الله فقال:

"والظاهر - والله أعلم - أنه ما أراد هذا؛ لأنه ليس جواباً لما قال إبراهيم ولا في معناه؛ لأنه غير مانع لوجود الصانع، وإنما أراد أن يدعي لنفسه هذا المقام عنادا ومكابرة ويوهم أنه الفاعل لذلك وأنه هو الذي يحيي ويميت، كما اقتدى به فرعون في قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ ولهذا قال له إبراهيم لما ادعى هذه المكابرة: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ أي: إذا كنت كما تدعي من أنك أنت الذي تحيي وتميت فالذي يحيي ويميت هو الذي يتصرف في الوجود في خلق ذواته وتسخير كواكبه وحركاته فهذه الشمس تبدو كل يوم من المشرق، فإن كنت إلهاً كما ادعيت تحيي وتميت فأت بها من المغرب.

فلما علم عجزه وانقطاعه، وأنه لا يقدر على المكابرة في هذا المقام بهت أي: أحرص فلا يتكلم، وقامت عليه الحجة.

(١) سورة المائدة، جزء من الآية: ٣٢.

(٢) ابن جرير، مصدر سابق، ٤٣٢/٥:.

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: لا يلهمهم حجة ولا برهانا بل حجتهم داخضة عند ربهم، وعليهم غضب ولهم عذاب شديد.

وهذا الترتيل على هذا المعنى أحسن مما ذكره كثير من المنطقيين: أن عدول إبراهيم عن المقام الأول إلى المقام الثاني انتقال من دليل إلى أوضح منه، ومنهم من قد يطلق عبارة ردية، وليس كما قالوه بل المقام الأول يكون كالمقدمة للثاني ويبين بطلان ما ادعاه نمرود في الأول والثاني، والله الحمد والمنة.^(١)

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ١/٦٨٦:.

المبحث الثاني: فرعون الطاغية:

هذا الطاغية هو المتجبر الثاني الذي أنكر ربوبية الله تعالى، وهو أشهر من عرف بذلك على مر التاريخ، حتى أصبح علما على كل من وقع منه ذلك.

المطلب الأول: التعريف بالطاغية فرعون:

"فرعون علم على كل من ملك مصر، كافرا من العماليق وغيرهم، كما أن قيصر علم على كل من ملك الروم مع الشام كافراً، وكسرى لكل من ملك الفرس، وتبع لمن ملك اليمن كافرا والنجاشي لمن ملك الحبشة، وبطليموس لمن ملك الهند.

ويقال: كان اسم فرعون الذي كان في زمن موسى، عليه السلام، الوليد بن مصعب بن الريان، وقيل: مصعب بن الريان، أيا ما كان فعليه لعنة الله، وكان من سلالة عمليق بن داود بن إرم بن سام بن نوح، وكنيته أبو مرة، وأصله فارسي من استخر"^(١).

المطلب الثاني: إنكار فرعون الطاغية واعتراضه على ربوبية الله تعالى:

لقد دفع فرعون كبره وشدته عتوه وتجبره واستخفافه بعقول قومه، أن يهدم توحيد ربوبية الله تعالى، بل أشنع من ذلك أن يدعي هذه الربوبية لنفسه.

وقد ورد إنكار فرعون واعتراضه على ربوبية الله تعالى في موضعين من القرآن الكريم:

- الموضع الأول:

قال تعالى: ﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَىٰ ۖ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ۖ ثُمَّ هَدَىٰ ۗ ٥٠ ﴾

﴿ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ۗ قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ۗ ٥١ ﴾^(٢)

جاء هذان السؤال من هذا المتجبر بعد دعوة موسى وهارون عليهما السلام له إلى الحق وطلبهم إرسال بني إسرائيل معهما.

(١) ابن كثير، تفسير، مصدر سابق، ٢٥٨/١.

(٢) سورة طه، الآيات: ٤٩-٥٢.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "يقول تعالى مخبراً عن فرعون أنه قال لموسى منكراً وجود الصانع الخالق، إله كل شيء وربّه ومليكه، قال: ﴿فَمَنْ رَبُّكُمْ مَوْسَىٰ﴾ أي: الذي بعثك وأرسلك مَنْ هو؟ فإني لا أعرفه، وما علمت لكم من إله غيري، ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَىٰ﴾. قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس يقول: خلق لكل شيء زوجة.

وقال الضحاك عن ابن عباس: جعل الإنسان إنساناً، والحمار حماراً، والشاة شاةً.

وقال ليث بن أبي سليم، عن مجاهد: أعطى كل شيء صورته.

وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد: سَوَّىٰ خلق كل دابة.

وقال سعيد بن جبیر في قوله: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَىٰ﴾ قال: أعطى كل ذي خلق ما يصلحه من خلقه، ولم يجعل للإنسان من خلق الدابة، ولا للدابة من خلق الكلب، ولا للكلب من خلق الشاة، وأعطى كل شيء ما ينبغي له من النكاح، وهياً كل شيء على ذلك، ليس شيء منها يشبه شيئاً من أفعاله في الخلق والرزق والنكاح.

وقال بعض المفسرين: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَىٰ﴾ كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ أي: قدر قدرًا، وهدى الخلائق إليه، أي: كتب الأعمال والآجال والأرزاق، ثم الخلائق ماشون على ذلك، لا يجيدون عنه، ولا يقدر أحد على الخروج منه. يقول: ربنا الذي خلق الخلق وقدر القدر، وجبل الخليقة على ما أراد.

﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ﴾ أصح الأقوال في معنى ذلك: أن فرعون لما أخبره موسى بأن ربّه الذي أرسله هو الذي خلق ورزق وقدر فهدى، شرع يحتج بالقرون الأولى، أي: الذين لم يعبدوا الله، أي: فما بالهم إذا كان الأمر كما تقول، لم يعبدوا ربك بل عبدوا غيره؟ فقال له موسى في جواب ذلك: هم وإن لم يعبدوه فإن عملهم عند الله مضبوط عليهم، وسيجزئهم بعملهم في كتاب الله، وهو اللوح المحفوظ وكتاب الأعمال، ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ أي: لا يشذ عنه شيء، ولا يفوته صغير ولا كبير، ولا ينسى شيئاً. يصف علمه تعالى بأنه بكل شيء محيط، وأنه لا ينسى شيئاً، تبارك وتعالى

وتقدس، فإن علم المخلوق يعتريه نقصانان أحدهما: عدم الإحاطة بالشيء، والآخر نسيانه بعد علمه، فتره نفسه عن ذلك^(١).

- الموضع الثاني:

قال تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾، قال الإمام السعدي رحمه الله تعالى:

"وهذا إنكار منه لربه، ظلما وعلوا، مع تيقن صحة ما دعاه إليه موسى، قال: رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، أي: الذي خلق العالم العلوي والسفلي، ودبره بأنواع التدبير، ورباه بأنواع التربية. ومن جملة ذلك، أنتم أيها المخاطبون، فكيف تنكرون خالق المخلوقات، وفاطر الأرض والسموات ﴿ إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴾ فقال فرعون متجرهما، ومعجبا لقومه: ﴿ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴾ ما يقول هذا الرجل، فقال موسى: ﴿ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴾ تعجبتم أم لا، استكبرتم أم أذعنتم.

فقال فرعون معاندا للحق، قادحا بمن جاء به: ﴿ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ حيث قال خلاف ما نحن عليه، وخالفنا فيما ذهبنا إليه، فالعقل عنده وأهل العقل، من زعموا أنهم لم يخلقوا، أو أن السماوات والأرض، ما زالتا موجودتين من غير موجد وأهم، بأنفسهم، خلقوا من غير خالق، والعقل عنده، أن يعبد المخلوق الناقص، من جميع الوجوه، والجنون عنده، أن يثبت الرب الخالق للعالم العلوي والسفلي، والمنعم بالنعمة الظاهرة والباطنة، ويدعو إلى عبادته، وزين لقومه هذا القول،

(١) ابن كثير، تفسير، مصدر سابق، ٢٩٧/٥-٢٩٨.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٢٣-٢٨.

وكانوا سفهاء الأحلام، خفيفي العقول ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ، فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ ﴾^(١)، فقال موسى عليه السلام، مجيباً لإنكار فرعون وتعطيله لرب العالمين: ﴿ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ من سائر المخلوقات ﴿ إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ فقد أدت لكم من البيان والتبيين، ما يفهمه كل من له أدنى مسكة من عقل، فما بالكم تتجاهلون فيما أحاط بكم به؟ وفيه إيماء وتنبية إلى أن الذي رميتم به موسى من الجنون، أنه داؤكم فرميتم أزكى الخلق عقلاً وأكملهم علماً، بالجنون، والحال أنكم أنتم المجانين، حيث ذهبت عقولكم لإنكار أظهر الموجودات، خالق الأرض والسموات وما بينهما، فإذا جحدتموه، فأبي شيء تثبتون؟ وإذا جهلتموه، فأبي شيء تعلمون؟ وإذا لم تؤمنوا به وبآياته، فبأي شيء - بعد الله وآياته - تؤمنون؟ تالله، إن المجانين الذين بمرتلة البهائم، أعقل منكم، وإن الأنعام السارحة، أهدى منكم.^(٢)

أما ادعاء فرعون الحقير الربوبية لنفسه الحقيرة فقد ورد في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى ﴾^(٣)

فَحَشَرَ فَنَادَى ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾^(٣).

قال ابن كثير: "وقوله: ﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى ﴾ أي: في مقابلة الحق بالباطل، وهو جمعه السحرة ليقابلوا ما جاء به موسى، عليه السلام، من المعجزة الباهرة، ﴿ فَحَشَرَ فَنَادَى ﴾ أي: في قومه، ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾، قال ابن عباس ومجاهد: وهذه الكلمة قالها فرعون بعد قوله: ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ بأربعين سنة.

قال الله تعالى: ﴿ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴾^(١)، أي: انتقم الله منه انتقاماً جعله به عبرة ونكالا لأمثاله من المتمردين في الدنيا^(٢).

(١) سورة الزخرف، الآية: ٥٤.

(٢) السعدي، مصدر سابق، ص: ٥٩٠.

(٣) سورة النازعات، الآيتان: ٢٢-٢٤.

(١) سورة النازعات، الآية: ٢٥.

(٢) ابن كثير، تفسير، مصدر سابق: ٣١٥/٨.

الفصل الثالث: المشركون من الأمم السالفة:

تقدم في الفصل السابق أن أغلب الأمم مقرة بتوحيد ربوبية الله تعالى، إلا أنهم أشركوا به سبحانه في توحيد الألوهية، وهو الذي كثر فيه الجدل والتراع بين الأنبياء وأقوامهم، وما من نبي إلا استهل دعوته بقوله: ﴿يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾^(١)، وقال جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾^(٢).

قال إمام المفسرين ابن جرير رحمه الله: "يقول تعالى ذكره: ولقد بعثنا أيها الناس في كل أمة سلفت قبلكم رسولا كما بعثنا فيكم بأن اعبدوا الله وحده لا شريك له، وأفردوا له الطاعة، وأخلصوا له العبادة ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ يقول: وابتعدوا من الشيطان، واحذروا أن يغويكم، ويصدكم عن سبيل الله، فتضلوا، ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ﴾ يقول: فممن بعثنا فيهم رسلنا من هدى الله، فوفقه لتصديق رسله، والقبول منها، والإيمان بالله، والعمل بطاعته، ففاز وأفلح، ونجا من عذاب الله ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ يقول: وممن بعثنا رسلنا إليه من الأمم آخرون حقت عليهم الضلالة، فجاروا عن قصد السبيل، فكفروا بالله وكذبوا رسله، واتبعوا الطاغوت، فأهلكهم الله بعقابه، وأنزل عليهم بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين"^(٣).

والأصل في البشرية هو توحيد الله تعالى، وقد كانت على ذلك من عهد آدم عليه السلام إلى زمن نوح عليه السلام حيث ظهر الشرك وعبادة الأصنام كما سيأتي إن شاء الله، قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٩.

(٢) سورة النحل، جزء من الآية: ٣٦.

(٣) ابن جرير، مصدر سابق: ٢٠١/١٧.

اللَّهُ التَّيَّيْنِ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴿١﴾، والقول الصحيح من أقوال السلف في تفسيرها أنهم كانوا على ملة آدم عليه السلام والتي هي التوحيد^(٢).

المبحث الأول: تعريف شرك الألوهية:

هو "اتخاذ العبد غير الله من نبي أو ولي أو ملك أو قبر أو جني أو شجر أو حجر أو حيوان أو نار أو شمس أو قمر أو كوكب أو غير ذلك "ندا" من دون الله "مسويا به" الله يحبه كحب الله ويخافه ويخشاه كخشية الله ويتبعه على غير مرضاة الله ويطيعه في معصية الله ويشركه في عبادة الله "مضاهي" به الله قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾^(٣)، وحكى عنهم في اختصاصهم في النار: ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نَسَوْنَكُمْ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾^(٤) " (٥).

المبحث الثاني: تشابه اعتراضات المشركين على مر التاريخ:

عند التبع والاستقراء للآيات القرآنية المتعلقة بالموضوع، يلاحظ أن الغالب على اعتراضات المشركين من الأمم السابقة أنها تأتي في إطار الحوارات والجدالات التي وقعت بين الأنبياء وأقوامهم، والتي يحاولون فيها إيراد شبههم على دعوة الرسل إلى توحيد الله تعالى ونصرة ما هم عليه من الاعتقادات الباطلة، وهذه الاعتراضات غالبا ما تتكرر في كل أمة مع نبيها، كما قال سبحانه: ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدَّ قِيلَ لِّلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٦)، قال الإمام

(١) سورة البقرة، جزء من الآية: ٢١٣.

(٢) ينظر: ابن كثير، مصدر سابق، ٥٦٩/١.

(٣) سورة البقرة، جزء من الآية: ١٦٥.

(٤) سورة الشعراء، الآيات: ٩٦-٩٨.

(٥) الحكمي، حافظ بن أحمد بن علي، معارج القبول بشرح سلم الوصول، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، ط ١، (الدمام، دار ابن

القيم، ١٤١٠-١٩٩٠)، ٤٨٣/٢.

(٦) سورة فصلت، الآية: ٤٣.

السعدي رحمه الله تعالى: "أي: ﴿ مَا يُقَالُ لَكَ ﴾ أيها الرسول من الأقوال الصادرة ممن كذبك وعاندك ﴿ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ أي: من جنسها، بل ربما إنهم تكلموا بكلام واحد، كتعجب جميع الأمم المكذبة للرسول، من دعوتهم إلى الإخلاص لله وعبادته وحده لا شريك له، وردهم هذا بكل طريق يقدرين عليه، وقولهم: ﴿ مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ﴾، واقترحهم على رسلهم الآيات، التي لا يلزمهم الإتيان بها، ونحو ذلك من أقوال أهل التكذيب، لما تشابهت قلوبهم في الكفر، تشابهت أقوالهم، وصبر الرسل عليهم السلام على أذاهم وتكذيبهم، فاصبر كما صبر من قبلك" (١).

المبحث الثالث: الأمم المشركة المعترضة في القرآن:

و الأمم التي ورد في القرآن الكريم اعتراضهم على الحق الذي جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام بحسب التسلسل الزمني هم كالاتي:

١- قوم نوح عليه السلام:

كان قوم نوح أول من وقع في الشرك بالله تعالى وانحرفوا عن الفطرة السليمة، فعبدوا الأصنام وأصروا عليها واستكبروا استكبارا، وكان سبب عبادتهم لهذه الأصنام ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَا نُذَرُّنَّ ءَالِهَتَكُمُ وَلَا نُذَرُّنَّ وِدًّا وَلَا سُوعَا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ (٢)، "قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبت" (٣).

فلما عم الفساد الأرض وانتشرت عبادة الأصنام، بعث الله جل وعلا عبده ورسوله نوحا عليه السلام يدعو الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وكان أول رسول أرسله الله تعالى كما جاء في حديث

(١) السعدي، مصدر سابق: ص ٧٥٠.

(٢) سورة نوح، الآية: ٢٣.

(٣) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب: ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا، الحديث رقم: ٤٩٢٠.

الشفاعة الطويل: " ائتوا نوحا فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض " الحديث^(١)، فدعاهم ﷺ إلى الله تعالى بكافة الأساليب وبالليل والنهار، وذكرهم بآيات الله الكونية في الآفاق والأنفس، وبين بطلان عبادتهم لتلك الأصنام وأنها جمادات لا تملك ضرا ولا نفعا.

ومكث نبي الله نوح ﷺ فيهم وهو على ذلك ألف سنة إلا خمسين عاما كما جاء ذكره في الكتاب الكريم، إلا أنهم واجهوا ذلك بالاعتراض والعناد وصبوا له ولأتباعه العداوة والتحقير.

وقد أثار الملأ من القوم في اعتراضاتهم بعض الشبه الواهية التي حاولوا أن يصدوا بها عن الحق الذي جاء به نبي الله نوح ﷺ:

- قال جل وعلا: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِتِي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۗ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْيَوْمِ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَزَّلَكَ إِلَّا بَشْرًا مِثْلَنَا وَمَا نَزَّلَكَ إِلَّا الَّذِي هُمْ أَرَادُوا بِرَأْيِ وَمَا نَزَّلْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نُنَظِّمُ كَذِبِيكَ ﴿٢٧﴾ ﴾^(٢).

- وقال في موضع آخر: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَفْقَهُمْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۗ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي ءَابَائِنَا الْأُولِينَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ يَدْعُو إِلَىٰ جَنَّةٍ فَتَرَبَّصُوا بِهِ ۗ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ ﴾^(٣).

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب: قول الله تعالى: (وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا)، الحديث رقم: 4476 (١٧/٦)، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة، الحديث رقم: ١٩٣، (١٨٠/١).

(٢) سورة هود، الآيات: ٢٥-٢٧.

(٣) سورة المؤمنون، الآيات: ٢٣-٢٥.

ومن خلال الآيتين، يستفاد جملة الاعتراضات التي أثارها القوم ضد دعوة نوح عليه السلام في أربع

مسائل:

أ- كون نوح عليه السلام من البشر وليس من الملائكة.

ب- كون أتباعه من الأردلين: أي من الضعفاء، باذي الرأي.

ت- ليس لنوح عليه السلام ومن آمن به فضل عليهم، وأنهم يريدون أن يتفضلوا عليهم.

ث- كون نوح عليه السلام - بحسب زعمهم الباطل - رجلا به جنة.

وسوف يأتي بإذن الله تعالى دحض وإبطال هذه الاعتراضات التي أوردها القوم في الباب

الثالث.

٢- عاد: قوم هود عليه السلام:

قوم عاد كانوا عربا وكانوا يسكنون بالأحقاف- وهي جبال الرمل - وكانت باليمن بين

عمان وحضرموت بأرض مطلة على البحر يقال لها "الشحر" واسم واديهم "مغيث"، وكانوا كثيرا ما

يسكنون الخيام ذوات الأعمدة الضخام كما قال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ

الْعِمَادِ ﴿٧﴾ ﴾ (١) أي عاد إرم وهم "عاد الأولى"، و"كانوا أول من عبد الأصنام بعد الطوفان، وكان

أصنامهم ثلاثة: صدا وسمودا وهرا" (٢).

وقد سار قوم عاد على الشرك واستنكفوا عن عبادة الله وحده، فكانوا على شاكلة قوم نوح

عليه السلام من الكفر والعتو والتمرد، فبعث الله إليهم رجلا منهم يدعوهم إلى الله تعالى وإفراده بالعبودية

ورغبتهم في ذلك بأنواع الترغيب، وحذرهم من مخالفته بالعقوبة العاجلة في الدنيا والعذاب الشديد في

الآخرة، إلا أن عادا قابلوا نبيهم هودا عليه السلام بالتكذيب والتنقيص والرفض.

(١) سورة الفجر، الآية: ٦.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، مصدر سابق، ١/١٣٧-١٣٨:.

فلما أصروا على عتوهم استحقوا عذاب الله، ﴿ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾
 سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْمَجَزُ نُحْلٍ خَاوِيَةٍ
 ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ ﴿١﴾ .

وقد اعترض قوم هود عليه السلام على دعوته بجملة من الاعتراضات السخيفة:

- قال المولى جل وعلا: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ
 أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ
 الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ
 رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوْعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ
 لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً
 فَادْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ
 ءَابَاؤُنَا فَأِننَّا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾ ﴿٢﴾ .

- وقال جل شأنه: ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخِرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا
 اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِذْعَارِ
 وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾
 وَلَئِنِ اطَّعْتُمْ بَشَرًا مِّثْلُكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيْدِكُمْ أَنتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا إِنَّكُمْ

(١) سورة الحاقة، الآيات: ٦-٨.

(٢) سورة الأعراف، الآيات: ٦٥-٧٢.

تُخْرِجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيَّاتَ هَيَّاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاةُ الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ ﴿١﴾

- وقال سبحانه: ﴿ كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا نُنْفُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمِ وَبَيْنَ وَجَنَّتِ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ ﴿٢﴾

ويؤخذ من الآيات السابقة الاعتراضات التي أثارها القوم في مسائل:

أ- كون هود عليه السلام من البشر مثلهم.

ب- التكذيب بيوم البعث واستبعاد وقوعه.

ت- اتهام هود عليه السلام بالسفاهة والجنون والافتراء على الله.

٣- ثمود: قوم صالح عليه السلام:

قوم ثمود: "كانوا أحياء من العرب العاربة قبل إبراهيم الخليل، عليه السلام، وكانت ثمود بعد عاد، ومساكنهم مشهورة فيما بين الحجاز والشام إلى وادي القرى وما حوله، وقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قراهم ومساكنهم، وهو ذاهب إلى تبوك سنة تسع" (٣).

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ٣١-٣٨.

(٢) سورة الشعراء، الآيات: ١٢٣-١٣٨.

(٣) ابن كثير، تفسير، مصدر سابق، ٤٣٩/٣.

وكانت ثمود يعبدون الأصنام ويجدون إفراد الله بالعبودية مثل قوم عاد وقوم نوح عليه السلام، فبعث الله إليه نبيه صالحا عليه السلام يدعوهم إلى توحيد الله تعالى وينهاهم عن عبادة الأوثان وذكرهم بنعم الله عليهم من الجنات والنعيم والزروع والمساكن المنحوتة في الجبال، فكان جوابهم السخرية والاستهزاء بصالح عليه السلام، واستحبوا العمى على الهدى، وطالبوه أن يأتيهم بآية تدل على رسالته واقترحوا أن تخرج لهم من صخرة عينوها ناقة تعنتوا في أوصافها، فلما استجاب الله لنبيه وأخرجها لهم على الوصف المطلوب، ظلموا بها وعقروها وعتوا عن أمر ربهم، ﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ (١).

ولنذكر الآن بعض الشبه التي اعترض بها قوم ثمود على دعوة نبي الله صالح عليه السلام:

- قال الله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُرْكُونَ فِي مَا هَاهُنَا ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بَشَايَةَ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ ﴾ (٢).

- وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَلْقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا أَطِیرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَیرْكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ سَعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ،

(١) سورة الحجر، الآيتان: ٨٣-٨٤.

(٢) سورة الشعراء، الآيات: ١٤١-١٥٥.

وَأَهْلُهُ ثُمَّ لَقَوْلَنَّ لَوْلِيَّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكْرُؤًا مَكْرًا وَمَكْرًا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ (١).

- وقال جل شأنه: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنَّدْرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشْرًا مِمَّنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَلٍ وَسُعْرٍ ﴿٢٤﴾ أَهْلَقَى الدِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ ﴿٢٥﴾ سَيَعَامُونَ غَدًا مِّنَ الْكَذَّابِ الْأَشْرِ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُونَ النَّاقَةَ فَنِنَّةً لَهُمْ فَأَرْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ ﴾ (٢).

ويستخلص من الآيات السابقة الاعتراضات التي أثارها الكفار من قوم ثمود تجاه دعوة صالح عليه السلام، وهي كالتالي:

أ- كون صالح عليه السلام بشرا واحدا منهم، وأن منهم من هو أولى بالنبوة منه.

ب- كونه سببا فيما يصيبهم من سوء - حسب زعمهم - تشاؤما وتطييرا.

ت- اتهامه بالكذب وبأنه مسحور.

٤- قوم إبراهيم عليه السلام:

"ولد خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام بأرض بابل على القول الصحيح من أقوال أهل السير والأخبار، وكانوا يسمون بالكلدانيين، وكانوا يعبدون الأصنام، وقد ناظرهم إبراهيم عليه السلام في عبادتها وكسرها وأهانها وبين بطلانها.

وقد هاجر إبراهيم عليه السلام إلى أرض الشام إلى الأرض المقدسة منها وهي فلسطين، فأقام بجران، وكان أهلها يسمون بالكنعانيين، وكانوا يعبدون الكواكب السبعة ويصنعون لها أصناما يتقربون إليها

(١) سورة النمل، الآيات: ٤٥-٥٠.

(٢) سورة القمر، الآيات: ٢٣-٢٨.

بأنواع القرابين، فحاجهم إبراهيم في عبادة هذه الأصنام والكواكب التي يتقربون إليها من دون الله تعالى، وأقام عليهم الحجج العقلية والفطرية البالغة، وبين بطلانها^(١).

كما ناظر إبراهيم عليه السلام الملك الجبار -النمرود- الذي ادعى الربوبية، وقد تقدم ذلك في الفصل السابق.

وقد اعترض قوم إبراهيم عليه السلام على دعوته باعتراضات ذكرها الله عز وجل في أثناء قصته:

- قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا لَهَا عِيدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَحِثْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِءَالِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتَىٰ يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ: إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَىٰ عَيْنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِءَالِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا ءَالِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَعَالِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا نَارُ كُوفِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْآخِصِرِينَ ﴿٧٠﴾

(١) ابن كثير، البداية، بتصرف: ١/٦١١.

(٢) سورة الأنبياء، الآيات: ٥١-٧٠.

- وقال جل شأنه: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازِرْ أَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرَبُّكَ وَقَوْمِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ؕ قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَأُوْحِبُّ ٱلْأَفْلٰكِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ الضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى ٱلسَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلذِّكْرِ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحٰجُّونِي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدٰنِي ؕ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ ؕ إِلَّا أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ؕ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ ؕ عَلَيْكُمْ سُلْطٰنًا فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَنَهُم بِظُلْمِ أُوْلٰئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ؕ نَرْفَعُ دَرَجٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ؕ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ ﴿١﴾

من خلال الآيات السابقة، يتبين أن الاعتراضات التي أوردتها القوم تتمثل في ما يلي:

أ- الاعتراض على دعوته إلى توحيد الله بتقليد الآباء والأجداد.

ب- استبعادهم وتعجبهم من كون دعوة إبراهيم عليه السلام دعوة حق.

ت- اعتراضهم على الحجج والبيانات التي أقامها الخليل عليه السلام بالانتقام والعقاب بإلقائه في النار.

٥- قوم لوط عليه السلام (المؤتفكات):

"كان لوط قد نزع عن محلة عمه الخليل عليهما السلام بأمره له وإذنه فتزل بمدينة سدوم من أرض غور زغر وكان أم تلك المحلة ولها أرض ومعتملات وقرى مضافة إليها ولها أهل من أفجر الناس وأكفرهم وأسوأهم طوية وأرداهم سريرة وسيرة يقطعون السبيل ويأتون في ناديهم المنكر ولا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ابتدعوا فاحشة لم يسبقهم إليها أحد من بني آدم وهي إتيان الذكران من العالمين وترك من خلق الله من النسوان لعباده الصالحين فدعاهم لوط إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له ونهاهم عن تعاطي هذه المحرمات والفواحش المنكرات والأفاعيل المستقبحات فتمادوا على ضلالهم وطغيانهم واستمروا على فجورهم وكفرائهم فأحل الله بهم من البأس الذي لا يرد ما لم يكن في خلدهم وحسابهم وجعلهم مثلة في العالمين وعبرة يتعظ بها الألباء من العالمين ولهذا ذكر الله تعالى قصتهم في غير ما موضع من كتابه المبين"^(١).

وقد اعترض قوم سدوم على نبي الله لوط عليه السلام بعدة اعتراضات تدل على سفاهة عقولهم وانتكاس فطرتهم وعتوهم وعنادهم:

- قال الله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرِيَّتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْظَهُرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرَ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾^(٢).

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، مصدر سابق: ٢٠٣/١.

(٢) سورة الأعراف، الآيات: ٨٠-٨٤.

- وقال جل شأنه في جواب قوم لوط له لما جاءه الأضياف: ﴿وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ

يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوْلَمْ نَنهَكَ
عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾ ﴿١﴾.

- وقال سبحانه: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ

بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَيِّنْكُمْ لَأَتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي
نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَأَتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ
مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ ﴿٢﴾.

ويتلخص من الآيات السابقة الاعتراضات التي أوردها قوم سدوم في الأمور التالية:

أ- تهديدهم لوطا عليه السلام بإخراجه من قريتهم بعله التطهر عن ارتكاب الفواحش.

ب- نهيهم وتوعدهم لوطا عليه السلام أن يضيف أحدا من الغرباء.

ت- استنكارهم ما دعاهم إليه لوط عليه السلام من إتيان ما أحل الله لهم من النساء بدل الرجال.

ث- تحديدهم لوطا عليه السلام أن يأتيهم بعذاب الله تعالى.

٦- مدين: قوم شعيب عليه السلام:

"كان أهل مدين قوما عربا يسكنون مدينتهم مدين التي هي قرية من أرض معان من أطراف
الشام مما يلي ناحية الحجاز قريبا من بحيرة قوم لوط، وكانوا بعدهم بمدة قريبة.

ومدين مدينة عرفت بهم القبيلة، وهم من بني مدين بن مديان بن إبراهيم الخليل وشعيب
نبيهم... وكان أهل مدين كفارا يقطعون السبيل ويخيفون المارة ويعبدون الأيكة وهي شجرة من الأيكة
حولها غيضة ملتفة بها وكانوا من أسوء الناس معاملة يبخسون المكيال والميزان ويطففون فيها يأخذون

(١) سورة الحجر، الآيات: ٦٧-٧٠.

(٢) سورة العنكبوت، الآيات: ٢٨-٣٠.

بالزائد ويدفعون بالناقص فبعث الله فيهم رجلا منهم وهو رسول الله ﷺ فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ونهاهم عن تعاطي هذه الأفاعيل القبيحة من بخس الناس أشياءهم وإخافتهم لهم في سبلهم وطرقاتهم فأمن به بعضهم وكفر أكثرهم حتى أحل الله بهم البأس الشديد وهو الولي الحميد^(١).

هذا وقد اعترضت مدين على نبي الله ﷺ عليه السلام بعدة اعتراضات:

- قال الله عز وجل عن جواب مدين لنبيهم ﷺ لما دعاهم إلى توحيد الله وترك البخس وقطعهم الطرقات: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِيبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولَئِكَ كَرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدْ أَفْتَرْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّيْنَا اللَّهَ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَيْرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿٩١﴾ ۝

- وقال جل شأنه: ﴿ قَالُوا يَشْعِيبُ أَصَلَوْتَك تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لَوْطٍ مِنْكُمْ يَبْعِدُ ﴿٨٩﴾ وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، مصدر سابق، ٢١٢/١-٢١٣.

(٢) سورة الأعراف، الآيات: ٨٨-٩١.

تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعِزِّينَ ﴿٩١﴾ قَالَ يَنْقَوْمٍ أَرْهَطِي
أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ (١).

- وقال عنهم سبحانه في موضع آخر: ﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا
بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نُّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ
﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ
عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ (٢).

وتتلخص الاعتراضات التي أوردها الملاء على شعيب عليه السلام في النقاط التالية:

- أ- توعدوه إن لم يدخل في ملتهم الكفرية بإخراجه من قريتهم.
- ب- استهزأؤهم من دعوته عليه السلام، وأنها تأمرهم بترك ما ألفوا عليه آباءهم.
- ت- اتهمهم شعيب عليه السلام بمخاطبتهم بما لا يفقهون.
- ث- تهديده بالرجم، وإنما منعهم من ذلك رهطه وعشيرته.
- ج- اتهامه ووصفه بأنه مسحور، وأنه كاذب، حاشاه عليه السلام من ذلك.
- ح- كونه بشرا مثلهم.
- خ- تحديه بأن يأتيهم بالعذاب إن كان صادقا.
- ٧- أصحاب القرية:

هذه القرية ممن ذكر الله تعالى أنهم وقعوا في الشرك بألوهيته سبحانه، وأنه أرسل إليهم ثلاثة رسل فكذبوهم واعترضوا على دعوتهم بشبهات من سبقهم من الأمم.

(١) سورة هود، الآيات: ٨٧-٩٢.

(٢) سورة الشعراء، الآيات: ١٨٥-١٨٩.

وقد وردت قصتهم في موضع واحد، وذلك في سورة "يس"، ولم تتطرق الآيات لذكر زمانهم ولا مكانهم، لكن ذهب كثير من المفسرين إلى أن القرية هي "أنطاكية"، وأن الزمان كان في عهد المسيح عليه السلام، وأن المرسلين هم رسل المسيح، إلا أن هذا القول لا يعتمد على دليل يشهد له، وغالب ما نقل في ذلك يحتمل أن يكون من الإسرائيليات؛ لأن غالبها ينتهي إلى كعب الأخبار ووهب بن منبه؛ ولذلك فقد رجح الحافظ ابن كثير رحمه الله بأدلة كثيرة أن القرية ليست بأنطاكية وأن ذلك كان قبل زمن المسيح عليه السلام بكثير^(١).

قال الله تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجِمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَيَّرْنَاكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾﴾^(٢).

ويتبين من خلال هذه الآيات الاعتراضات التي أوردتها أصحاب القرية في المسائل الآتية:

- أ- كون الرسل بشرا، ليس لهم فضل ولا خصوصية عليهم.
- ب- إنكار نزول الرسالة، وتكذيب الرسل.
- ت- مواجهة حجج الرسل بالتشاؤم منهم في ما يصيبهم من بلاء.
- ث- تهديد الرسل بالتعذيب والرجم.

٨- أهل الكتاب:

(١) ينظر: ابن كثير، تفسير، مصدر سابق، ٥٧٣/٦.

(٢) سورة يس، الآيات: ١٣-١٩.

حيث ذكر أهل الكتاب في القرآن الكريم فإنه يقصد بهم اليهود: والذين هم قوم موسى عليه السلام، والنصارى: والذين هم قوم عيسى عليه السلام - وقد يرد هذا المصطلح ويراد به أحدهما؛ وذلك من باب إطلاق العام وإرادة الخاص.

ولقد استفاض القرآن الكريم في الحديث عن أهل الكتاب؛ وذلك لكونهم أقرب الأمم - من حيث الزمن - من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، بل بقي لهم وجود حتى بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، ولذلك فإن الاعتراضات التي ذكرها الله عز وجل في القرآن الكريم عن أهل الكتاب تشمل هذه الحقبة الممتدة من زمن نبي الله موسى عليه السلام إلى ما بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم.

والذي يظهر - حسب الاستقراء الشخصي - أن الاعتراضات الواردة في القرآن الكريم عن أهل الكتاب إنما تتعلق باليهود، وإن كان القرآن قد ذكر النصارى بالكفر العظيم والمقالة الشنيعة في حق الله تعالى، إلا أني لم أجد - حسب بحثي - ما يتعلق بموضوع البحث؛ ولذلك سوف أقتصر على الطائفة الأولى "اليهود" واعتراضاتهم.

تعريف اليهود:

اليهود لغة:

قال ابن فارس: اليهود فمن هاد يهود، إذا تاب هودا. وسموا به لأنهم تابوا عن عبادة العجل.

وفي القرآن: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاكَ إِلَيْكَ﴾^(١)، وفي التوبة هوادة حال وسلامة^(٢).

اليهود اصطلاحاً:

هم الذين يزعمون أنهم أتباع موسى عليه السلام، وقد جاء في القرآن الكريم تسميتهم بعدة أسماء: "قوم موسى"، و"بني إسرائيل" - وإسرائيل هو يعقوب عليه السلام - و"أهل الكتاب"، و"اليهود".

لكن اسم اليهود لم يرد إلا في سياق إظهار كفرهم وبيان أقوالهم الباطلة وكشف خزيهم وفضائحهم والتحذير من مكائدهم وشرورهم، فلم ترد هذه التسمية في مقام المدح لهم أبداً، وإنما وردت

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.

(٢) ابن فارس، مصدر سابق، مادة: "هود"، ١٨/٦.

في مقام الذم والتفريع لهم ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ﴾^(١) وقوله: ﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مَسْمُوعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِالسِّنِّهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ﴾^(٢).

ولقد أجاد الإمام ابن القيم رحمه الله في وصف القوم وبيان خصالهم، حيث قال:

"أهل الكذب والبهت والغدر والمكر والحيل قتلة الأنبياء وأكلة السحت وهو الربا والرشا، أحبث الأمم طوية وأرداهم سجية وأبعدهم من الرحمة وأقربهم من النقمة عادتهم البغضاء وديدهم العداوة والشحناء، بيت السحر والكذب والحيل، لا يرون لمن خالفهم في كفرهم وتكذيبهم الأنبياء حرمة ولا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة، ولا لمن وافقهم حق ولا شفقة، ولا لمن شاركهم عندهم عدل ولا نصفة ولا لمن خالطهم طمأنينة ولا أمانة ولا لمن استعملهم عندهم نصيحة بل أحبثهم أعقلهم وأحذقهم أغشهم وسليم الناصية وحاشاه أن يوجد بينهم ليس بيهودي على الحقيقة أضيق الخلق صدوراً وأظلمهم بيوتا وأنتنهم أفضية وأوحشهم سجية تحبثهم لعنة ولقاؤهم طيرة شعارهم الغضب وديارهم المقت"^(٣).

كثرة اعتراضات اليهود:

وكان قوم موسى عليه الصلاة والسلام لما خرج بهم من مصر بعد هلاك فرعون وجنوده، قد عاشوا في العبودية والذل والوثنية سنوات مديدة، ففسدت عقائدهم وخبثت نفوسهم وقست قلوبهم وظهر عنادهم وتخادهم وعصيانهم لأمر الله ورسوله، فكثرت بذلك اعتراضاتهم على أنبيائهم، بل وصل بهم البغي والاستكبار إلى قتل هؤلاء الأخيار، قال تعالى: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾^(٤).

(١) سورة المائدة، جزء من الآية: ٦٤.

(٢) سورة النساء، جزء من الآية: ٤٦.

(٣) ابن القيم، محمد بن أبي بكر أبو عبد الله، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، (المدينة النبوية، ط: الجامعة الإسلامية)،

ص ٨.

(٤) سورة البقرة، جزء من الآية: ٨٧.

وهذا أو ان ذكر اعتراضات هذه الأمة الغضبية:

- لما أنجى الله موسى ومن معه من فرعون وجنوده وجاوز بهم البحر، أتوا على قوم يعبدون العجل، فطلبوا من موسى أن يجعل لهم إلهاً مثلهم، فزجرهم موسى عن هذا القول الشنيع بعدما رأوا هلاك عدوهم، وبين لهم أن العبادة لا تليق إلا لله رب العباد، ثم ذهب موسى إلى ميقات ربه بالطور واستخلف عليهم أخاه هارون، فأضلهم السامري وعبدوا العجل، فلما رجع موسى ورأى ما هم عليه غضب وأسف على ذلك، وأمرهم أن يتوبوا إلى الله وأن يقتل بعضهم بعضاً، ففعلوا حتى تاب الله عليهم ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّعِقَةُ وَأَنْتُمْ نُنظَرُونَ﴾ (١)، وقال سبحانه: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِنَانِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ (٢)، وهذا غاية الاعتراض والجرأة على الله ورسوله من هؤلاء المعتدين، وفي الآية إشارة إلى اعتراض أحفادهم على رسول الله محمد ﷺ.

- بعد ما أمرهم نبيهم موسى ﷺ أن يدخلوا الأرض المقدسة التي كتب لهم ووعدهم بالنصر، فنكلوا وتحاذلوا، واعترضوا على أمر الله وأمر رسوله، وتعللوا بأن فيها قوماً جبارين، قال تعالى: ﴿يَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتُدُّوا عَلَىٰ آدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ (٣) قالوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (٤) قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَانْتُكِمُ عَابِلُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٥) قالوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (٦) قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ

(١) سورة البقرة، الآية: ٥٥.

(٢) سورة النساء، جزء من الآية: ١٥٣.

بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ (١).

- وبعد خروجهم من التيه، وبعد أن فتح الله عليهم الأرض المقدسة، أمرهم نبيهم أن يدخلوا القرية -وهي بيت المقدس- وأن يأكلوا منها ما شاءوا من الطعام والشراب، وأن يدخلوها خاضعين خاشعين بقولهم وفعالهم، فاعترضوا وحرفوا وبدلوا إمعاناً في المعاندة، قال المولى جل وعلا: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ (٢)، وورد تفسير ذلك عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة: "قيل لبني إسرائيل ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة يغفر لكم خطاياكم، فبدلوا فدخلوا الباب يزحفون على أستاهم وقالوا حبة في شعرة" (٣).

- كذلك من اعتراضاتهم ما قصه الله سبحانه وتعالى في كتابه من قصة القنيل الذي قتلوه وأمروا بذبح بقرة وضربه ببعضها، فأخذوا في التعنت والاعتراض، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَنْتَ خَدِينَا هُزُوا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا يَكْرُ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْئِهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّظِيرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقْرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ

(١) سورة المائدة، الآيات: ٢٦-٢١.

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ٥٨-٥٩.

(٣) صحيح البخاري، كتاب التفسير، الحديث رقم: ٣٤٠٣، صحيح مسلم، كتاب التفسير، الحديث رقم: ٣٠١٥.

لْمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا أَكُنَّ جِئَتْ بِالْحَقِّ فذَبَّحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ (١)

- ومن اعتراضات بني إسرائيل التي ذكرها الله في القرآن الكريم عنهم - وذلك من بعد موسى عليه السلام - إذ طلبوا من نبيهم أن يبعث لهم ملكا يقاتلون تحت رايته، فلما بعث الله لهم طالوت ملكا عليهم أخذوا في الاعتراضات والتعنت كما هي عادتهم، قال المولى جل وعلا: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آءَالُ مُوسَىٰ وَآءَالُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلتَقُوا اللَّهَ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ (٢)

(١) سورة البقرة، الآيات: ٦٧-٧١.

(٢) سورة البقرة، الآيات: ٢٤٧-٢٤٩.

الفصل الرابع: المعترضون من أمة النبي ﷺ:

هذه الطائفة من الكفار هي التي أخذت النصيب الأكبر من الاعتراضات التي ورد ذكرها في القرآن الكريم؛ وذلك أنهم هم المعنيون بالدرجة الأولى في خطاب القرآن الكريم. والذين اعترضوا على دعوة النبي ﷺ من الكفار قسمان: المشركون من قومه الذين بعث فيهم، والقسم الثاني: المنافقون، والذين بدأ ظهورهم بالمدينة بعدما هاجر ﷺ إليها وقويت شوكة المسلمين.

المبحث الأول: المشركون:

لما بعث النبي ﷺ و"نزل عليه: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدْيَنُ ۝١ قُرْآنًا نَزَّلَ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبَّرَ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهَّرَ ۝٤﴾^(١)، شمر عن ساق الدعوة، وقام في ذات الله أتم قيام، ودعا إلى الله ليلا ونهارا، وسرا وجهارا، ولما نزل عليه: ﴿فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ ۝٢﴾^(٢)، فصدع بأمر الله لا تأخذه فيه لومة لائم، فدعا إلى الله الصغير والكبير، والحر والعبد، والذكر والأنثى، والأحمر والأسود، والجن والإنس.

ولما صدع بأمر الله، وصرح لقومه بالدعوة، وناداهم بسب آلهتهم، وعيب دينهم، اشتد أذاهم له، ولمن استجاب له من أصحابه، ونالوه ونالوهم بأنواع الأذى، وهذه سنة الله عز وجل في خلقه كما قال تعالى: ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدَّ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ ۝٣﴾^(٣)، وقال: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ۝٤﴾^(٤)، وقال: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ۝٥﴾^(٥) (٥) (٦).

(١) سورة المدثر، الآيات: ١-٤.

(٢) سورة الحجر، جزء من الآية: ٩٤.

(٣) سورة فصلت، جزء من الآية: ٤٣.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١١٢.

(٥) سورة الذاريات، الآيتان: ٥٢-٥٣.

(٦) ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب شمس الدين، زاد المعاد في هدي خير العباد، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٥هـ—،

فلما رأى المشركون من قريش أن مواجهة دعوة النبي ﷺ بالقوة والأذى الحسي لا يثني من عزيمته عليه الصلاة والسلام في المضي على دعوته إلى توحيد الله تعالى، ولا يؤثر على ثبات أصحابه الذين اهدوا بدعوته، ولا يصد الناس عن اتباعه والإيمان به، حاولوا أن يثيروا حول دعوته الشبهات الواهية والاعتراضات السخيفة تعنتا وتكديبا بالحق البين الذي جاء به ﷺ.

وقد تكاثرت وتنوعت هذه الاعتراضات التي أوردتها المشركون على النبي ﷺ، إلا أن القرآن كان لهم بالمرصاد كما قال جل شأنه: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾^(١)، قال الإمام السعدي رحمه الله: "قال: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ يعارضون به الحق ويدفعون به رسالتك، ﴿إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ أي: أنزلنا عليك قرآنا جامعا للحق في معانيه والوضوح والبيان التام في ألفاظه، فمعانيه كلها حق وصدق لا يشوبها باطل ولا شبهة بوجه من الوجوه، وألفاظه وحدوده للأشياء أوضح ألفاظا وأحسن تفسيرا مبين للمعاني بيانا كاملا"^(٢).

- فمرة يعترضون على الكتاب الذي جاء به ﷺ، ويصفونه بالأساطير، وأنه أخذه عن بشر مثله وليس عن رب العالمين بل افتري عليه، وأنهم لو شاءوا لقالوا مثل ذلك، قال المولى جل شأنه: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾^(٣)، وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا نُتِيَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾^(٤)، وقال تعالى في موضع آخر: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ

(١) سورة الفرقان، الآية: ٣٣.

(٢) السعدي، مصدر سابق، ص ٥٨٢.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٢٥.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٣١.

قَوْمٌ ءَاخِرُونَ ۖ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۖ أَكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ
بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿١﴾.

- ومرة يعترضون على شخصه الكريم ﷺ، ويصفونه بأوصاف هم أحق بها وأهلها، فحينما يصفونه بأنه كاهن، ومرة بأنه ساحر، وأخرى بأنه شاعر، وتارة أخرى بأنه مجنون، وقالوا عنه كذاب، وهو ﷺ مبرأ من ذلك كله، وهم يعلمون ذلك ولكنه البغي والحسد، قال سبحانه: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذٰبٌ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغٰثٌ اٰحْلٰمٍ بَلْ اٰفْتَرٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَاٰنِنَا بِيَٰتِيَةٍ كَمَا اُرْسِلَ الْاَوَّلُونَ﴾ (٣)، وقال المولى جل وعلا: ﴿وَيَقُولُونَ اٰنٰنَا لَتٰرِكُوْا اِلٰهِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُوْنٍ﴾ (٤).

- كما اعترضوا على دعوته ﷺ بكثرة اقتراحاتهم والتي هي من باب التعجيز والتعنت، وليس طلبا للحق وتصديقا به، فاقترحوا أن لو نزل القرآن على رجل عظيم من القريتين؛ لأنه ليس بأهل لذلك حاشاه ﷺ، واعترضوا على بشريته واقترحوا أن لو جاء معه ملك، كما تعنتوا في اشتراط الآيات التي تدل على صدق رسالته، قال سبحانه: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ هٰذَا الْقُرْءَانُ عَلٰى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْبَتَيْنِ عَظِيْمٍ﴾ (٥)، وقال عز من قائل: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتّٰى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْاَرْضِ يَنْبُوْعًا﴾ (٦) ﴿اَوْ تَكُوْنُ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيْلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْاَنْهٰرَ خِلٰلَهَا تَفْجِيْرًا﴾ (٧) ﴿اَوْ تُسْقِطَ السَّمٰءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا اَوْ

(١) سورة الفرقان، الآيات: ٤ - ٥.

(٢) سورة ص، الآية: ٤.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٥.

(٤) سورة الصافات، الآية: ٣٦.

(٥) سورة الزخرف، الآية: ٣١.

تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَيْلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرِفٍ أَوْ تَرْفَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٣﴾ (١).

- وكذلك مما اعترضوا به على دعوة النبي ﷺ، أن أتباعه أراذل الناس من الضعفاء والفقراء والمساكين، شأن المكذبين من الأمم السابقين، واشترطوا عليه أن يطردهم حتى يجلسوا إليه، قال سبحانه: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعِسَىٰ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَن آتَى اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ (٢).

- ومما اعترض به المشركون على النبي ﷺ إنكارهم لقيام الساعة واستبعادهم للبعث والنشور، واشترطهم أن يرد لهم آباءهم تعنتا وإمعانا في الاعتراض، قال تعالى: ﴿بَلْ مَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أءَٰذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴿٣﴾﴾ (٣)، وقال سبحانه: ﴿يَقُولُونَ أءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أءَٰذَا كُنَّا عِظْمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾﴾ (٤)، وقال المولى جل وعلا: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ قَاتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾﴾ (٥)، والآيات بهذا المعنى كثيرة جدا.

(١) سورة الإسراء، الآيات: ٩٠-٩٣.

(٢) سورة الأنعام، الآيات: ٥٢-٥٣.

(٣) سورة ق، الآيات: ٢-٣.

(٤) سورة النازعات، الآيات: ١٠-١٢.

(٥) سورة الدخان، الآيات: ٣٤-٣٦.

المبحث الثاني: المنافقون:

هذا القسم الثاني من المعترضين من أهل الكفر على دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، وهم فئة لا تقل عن المشركين كفرا واعتراضا على دعوة الحق، إلا أنهم كانوا يخفون ذلك ويبيتونه، لكن الله تعالى فضحهم وكشف أسرارهم وأظهر ذلك على فلتات ألسنتهم.

المطلب الأول: تعريف النفاق والمنافقين:

النفاق لغة:

النفاق مأخوذ من النفق وهي كلمة تدل على الخروج، ومنه النفق: وهو المسلك الذي له منفذ يمكن الخلوص منه إلى مكان آخر، قال صاحب اللسان: النفقة والنفاق جحر الضب واليربوع وقيل النفقة والنفاق موضع يرققه اليربوع من جحره فإذا أتى من قبل القاصعاء ضرب النفاق برأسه فخرج ونفق اليربوع ونفق وانتفق ونفق خرج منه^(١).

النفاق اصطلاحا:

النفاق من المصطلحات التي غلب فيه التعريف الشرعي على التعريف اللغوي، و" (المنافق) من يخفي الكفر ويظهر الإيمان ومن يضمّر العداوة ويظهر الصداقة ومن يظهر خلاف ما يبطن"^(٢).

المطلب الثاني: أقسام النفاق

ذكر الحافظ ابن رجب رحمه الله أن النفاق ينقسم إلى قسمين:

- أحدهما: النفاق الأكبر: وهو أن يظهر الإنسان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ويبطن ما يناقض ذلك كله أو بعضه وهذا هو النفاق الذي كان على عهد رسول الله ﷺ ونزل القرآن بدم أهله وتكفيرهم وأخبر أن أهله في الدرك الأسفل من النار.

- والثاني: النفاق الأصغر وهو نفاق العمل وهو أن يظهر الإنسان علانية صالحا ويبطن ما يخالف ذلك"^(٣).

(١) ابن منظور، مصدر سابق، مادة "نفق"، ٣٥٧/١٠.

(٢) المعجم الوسيط، مصدر سابق، مادة: "نفق"، ٩٤٢/٢.

(٣) ابن رجب، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد، جامع العلوم والحكم، ط١، (بيروت، دار المعرفة، ٤٠٨ هـ)، ص: ٣٣٠-٣٣١.

وبناء على هذا التقسيم الذي ذكره ابن رجب رحمه الله فإن النوع الذي يتعلق به الكلام في موضوع البحث هو الأول.

المطلب الثالث: اعتراضات المنافقين:

لقد حاول المنافقون في كثير من المواقف والفتن الحادثة في عهد النبي ﷺ أن يثيروا بعض الاعتراضات والشبهات قصد بث سمومهم وزعزعة المجتمع الإسلامي، إلا أن القرآن أتى بنيانهم من القواعد وخر عليهم السقف من فوقهم وكشف الله أسرارهم وأخزاهم ورد كيدهم في نحورهم.

- فمن اعتراضاتهم: أنه لما نصحهم المسلمون ونهوه عن إثارة الفتن والقتال والإفساد في الأرض، زعموا أنهم مصلحون، ولما دعوه إلى الإيمان أجابوا معترضين مترفعين أن هؤلاء الذين اتبعوا النبي ﷺ سفهاء، فرد الله عليهم وأخبر أنهم أحق بهذه الأوصاف الدنيئة وأهلها، قال المولى جل وعلا:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ﴾^(١).

- كذلك مما سجله القرآن الكريم على هؤلاء المنافقين اعتراضهم على أحكام الله وشرعه وصددهم عنها، وتحاكمهم إلى الطاغوت، قال المولى جل وعلا: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ، وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ ﴾^(٢).

(١) سورة البقرة، الآيات: ١١-١٤.

(٢) سورة النساء، الآيات: ٦٠-٦١.

- ومما ذكره الله تعالى عن هؤلاء الكفار، اعتراضهم على وعده لعباده المؤمنين بالنصر، وبثهم

للكفوك والشائعات بين صفوف المسلمين من أجل إضعافهم، كما جاء في سورة الأحزاب: ﴿ وَإِذْ

يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١١٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ

يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا

فِرَارًا ﴿١١٣﴾ وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَأْتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا بَسِيرًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ

كَانُوا عَاهِدُوا لَإِلَهِهِمْ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ إِلَّا لِلَّهِ عَاهِدًا مَّا مَسَّحُوا عَلَيْهِمْ نَارًا ﴿١١٥﴾ ﴿١﴾

- وكذلك اعتراضهم على فرضية الجهاد جبا وتخاذلا عن نصرة هذا الدين، وفرحهم بالتخلف

عن هذه الفريضة العظيمة، قال جل شأنه: ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا

أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا

يَفْقَهُونَ ﴿٢﴾

- كذلك سجل الله تعالى على هؤلاء المرجفين اعتراضهم على أقدار الله تعالى وتكذيبهم بها،

وتسفيهم رأي رسول الله ﷺ وأصحابه، قال تعالى: ﴿ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ

غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ

مَا لَا يَبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا ههنا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ

كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ

بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا

كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا

لِإِحْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ

(١) سورة الأحزاب، الآيات: ١٢-١٥.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٨١.

حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾^(١)، وكذلك قوله سبحانه: ﴿وَإِنْ تُصِيبَهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾^(٢) .

-ومن الاعتراضات التي سجلها الله تعالى على المنافقين في كتابه الكريم ما ذكره في السورة المسماة باسمهم، وهي اعتراضهم على الإنفاق على صحابة رسول الله ﷺ: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾^(٣) .

(١) سورة آل عمران، الآيات: ١٥٤-١٥٦.

(٢) سورة النساء، الآية: ٧٨.

(٣) سورة المنافقون، الآية: ٧.

البَابُ الثَّالِثُ
أنواع اعتراضات
الكفار في القرآن الكريم
والجواب عنها

تقدم في الباب السابق ذكر الطوائف المعترضة في القرآن الكريم، وقد تحلل ذلك الإشارة إلى بعض الاعتراضات التي أوردها القرآن الكريم عن الكفار، ولبيان هذه الاعتراضات وإظهار فسادها والرد عليها لا بد من تناولها بالتفصيل.

وقبل الشروع في تفاصيل هذا الباب لا بد من الإشارة إلى مقدمة مهمة في سنة الله تعالى في الصراع بين الحق والباطل.

لقد وعد المولى جل في علاه أن ينصر هذا الدين ويعلي كلمته ويخزي أهل الزيغ والضلال، وكتب على نفسه أن يحق الحق ويبطل الباطل ولو كره الملحدون، قال الحق سبحانه: ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾، وأخبر سبحانه أنه يقذف بالحق على الباطل فيصيبه في مقتل: كما قال جل شأنه: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْأُيُولُ مِمَّا نَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾^(١). قال السعدي رحمه الله:

"ينخر تعالى أنه تكفل بإحقاق الحق وإبطال الباطل، وأن كل باطل قيل وجودل به، فإن الله يترل من الحق والعلم والبيان، ما يدمغه، فيضمحل، ويتبين لكل أحد بطلانه ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ أي: مضمحل فان، وهذا عام في جميع المسائل الدينية، لا يورد مبطل، شبهة عقلية ولا نقلية في إحقاق باطل أو رد حق، إلا وفي أدلة الله من القواطع العقلية والنقلية ما يذهب ذلك القول الباطل ويقمعه فإذا هو متبين بطلانه لكل أحد"^(٢).

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٨.

(٢) السعدي، مصدر سابق: ص: ٥٢٠.

الفصل الأول: الاعتراض على الله في ربوبيته وألوهيته:

هذا النوع من الاعتراضات هو أخطر الأنواع على الإطلاق، وذلك لتعلقها بالباري جل وعلا، ويترتب عليها باقي الاعتراضات كلها، فمن اعترض على الله تعالى في وحدانيته في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته لا بد وأن يقع منه اعتراض على شرعه وعلى رسله.

المبحث الأول: الاعتراض على ربوبية الله تعالى:

تقدم في الفصول السابقة أن عامة الأمم مقرة بتوحيد الربوبية، وتتبع الاعتراضات التي وردت في القرآن الكريم لا يجد المرء فيهم من يجحد أو ينكر ربوبية الله تعالى، اللهم إلا ما ورد عن بعض الأفراد الذين شذوا عن هذا الأصل وانحرفوا عن السوية وعكسوا الفطرة كفرعون والنمرود، بل وصل بهما الأمر إلى ادعاء الربوبية لأنفسهما.

وقد أخبر المولى جل وعلا أن هذا الإنكار والاعتراض الصادر من هؤلاء مغالطة ومكابرة وأنه غير مطابق للحقيقة المستقرة في نفوسهم، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾^(١)، وقال تعالى على لسان موسى عليه السلام مخاطبا فرعون: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفْرَعَوْتُ مَثْبُورًا﴾^(٢)، كما أخبر الله جل وعلا في كتابه أن هذا الأصل أمر مسلم عند المشركين، قال سبحانه: ﴿وَلِئِن سَأَلْتَهُم مِّنْ خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَسَخَّرِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾^(٣).

فمعرفة الله تعالى والإقرار بربوبيته تعالى أمر مغرور في الفطر، وحقيقة محسوسة وأمر واضح غاية الوضوح، فالإنسان يعيش في هذا الكون ويرى فيه بصره وبصيرته من الأدلة والبراهين على ربوبية الله تعالى ووحدانيته ما لا يحصى عددا.

(١) سورة النمل، جزء من الآية: ١٤.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١٠٢.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٦١.

قال الإمام الحافظ ابن كثير رحمه الله: " من تأمل هذه الموجودات السفلية والعلوية واختلاف أشكالها وألوانها وطبائعها ومنافعها ووضعها في مواضع النفع بما محكمة، علم قدرة خالقها وحكمته وعلمه وإتقانه وعظيم سلطانه، كما قال بعض الأعراب، وقد سئل: ما الدليل على وجود الرب تعالى؟ فقال: يا سبحان الله، إن البعرة لتدل على البعير، وإن أثر الأقدام لتدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج؟ ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير؟

وحكى فخر الدين عن الإمام مالك أن الرشيد سأله عن ذلك فاستدل باختلاف اللغات والأصوات والنغمات، وعن أبي حنيفة أن بعض الزنادقة سألوه عن وجود الباري تعالى، فقال لهم: دعوني فأني مفكر في أمر قد أخبرت عنه ذكروا لي أن سفينة في البحر موقرة فيها أنواع من المتاجر وليس بها أحد يجرسها ولا يسوقها، وهي مع ذلك تذهب وتجيء وتسير بنفسها وتخرق الأمواج العظام حتى تتخلص منها، وتسير حيث شاءت بنفسها من غير أن يسوقها أحد. فقالوا: هذا شيء لا يقوله عاقل، فقال: ويحكم هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوي والسفلي وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة ليس لها صانع!! فبهت القوم ورجعوا إلى الحق وأسلموا على يديه، وعن الشافعي: أنه سئل عن وجود الصانع، فقال: هذا ورق التوت طعمه واحد تأكله الدود فيخرج منه الإبريسم، وتأكله النحل فيخرج منه العسل، وتأكله الشاة والبعير والأنعام فتلقيه بعرًا وروثًا، وتأكله الطباء فيخرج منها المسك وهو شيء واحد، وعن الإمام أحمد بن حنبل أنه سئل عن ذلك فقال: ها هنا حصن حصين أملس، ليس له باب ولا منفذ، ظاهره كالفضة البيضاء، وباطنه كالذهب الإبريز، فبينا هو كذلك إذ انصدع جداره فخرج منه حيوان سميع بصير ذو شكل حسن وصوت مليح، يعني بذلك البيضة إذا خرج منها الدجاجة، وسئل أبو نواس عن ذلك فأنشد:

تأمل في نبات الأرض وانظر * إلى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين شاخصات * بأحداق هي الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات * بأن الله ليس له شريك^(١)

(١) الراغب، الحسين. محمد الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات البلغاء، (بيروت مكتبة الحياة)، ٥٦٨/٤، ونسبه لابن محارب القمي.
القمي.

وقال ابن المعتز:

فيا عجبًا كيف يعصى الإله * أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية * تدل على أنه واحد^(١) ^(٢)

ورغم وضوح هذا الأصل، إلا أنه عند فساد الفطرة وانحرافها تحتاج إلى التذكير به والاستدلال عليه، كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله: "الإقرار بالخالق وكماله يكون فطريا ضروريا في حق من سلمت فطرته وإن كان مع ذلك تقوم عليه الأدلة الكثيرة وقد يحتاج إلى الأدلة عليه كثير من الناس عند تغير الفطرة وأحوال تعرض لها"^(٣).

ولذلك فإن القرآن الكريم أكثر من سياق الأدلة والبراهين الشاهدة على وحدانية الله تعالى وربوبيته، مخاطبا القلوب والعقول، بأسلوب أيسر في البيان وأقوى في البرهان وأعمق في التأثير وأسرع في الإقناع، أسلوب لا يترك مجالا لأحد إلا أن يسلم ويقر بوحدانيته سبحانه ويشهد مع هذا الكون بشهادة الحق، أو يكابر ويعاند ويعترض ويحكم على نفسه بالضلال والضياع.

ويمكن تقسيم الأدلة التي أوردها القرآن على هذا الأصل إلى عدة أنواع:

١- دلالة الفطرة:

وهي التي سبقت الإشارة إليها، وهي من أقوى الأدلة، وإليها يشير قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾^(٤)، قال الإمام السعدي رحمه الله: "يقول تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أي: أخرج من أصلابهم ذريتهم، وجعلهم يتناسلون ويتوالدون قرنا بعد قرن، وحين أخرجهم من بطون أمهاتهم وأصلاب آبائهم ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾

(١) الحصري، إبراهيم بن علي، زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق: د. يوسف الطويل، ط١ (بيروت، دار الكتب العلمية ١٩٩٧م)، ٣٠٨/١، ونسبه إلى أبي العتاهية.

(٢) ابن كثير، تفسير، مصدر سابق: ١٩٧/١-١٩٨.

(٣) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم، مجموع الفتاوى، تحقيق: أنور الباز؛ عامر الجزائر، ط: ٣، (دار الوفاء، ٢٠٠٥م)، ٧٣/٦.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴿١﴾ أي: قررهم بإثبات ربوبيته، بما أودعه في فطرتهم من الإقرار، بأنه ربهم وخالقهم ومليكنهم، قالوا: بلى قد أقررنا بذلك، فإن الله تعالى فطر عباده على الدين الحنيف القيم، فكل أحد فهو مفطور على ذلك، ولكن الفطرة قد تغير وتبدل بما يطرأ عليها من العقائد الفاسدة، ولهذا ﴿قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ ﴿٢﴾ أي: إنما امتحناكم حتى أقررتم بما تقرر عندكم، من أن الله تعالى ربكم، خشية أن تنكروا يوم القيامة، فلا تقرروا بشيء من ذلك، وتزعمون أن حجة الله ما قامت عليكم، ولا عندكم بما علم، بل أنتم غافلون عنها لاهون، فاليوم قد انقطعت حجتكم، وثبتت الحجة البالغة لله عليكم" (١).

وإلى هذه الدلالة يشير كذلك قول الله جل وعلا: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢)، وضح عنه ﷺ ما يؤيد هذا المعنى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ما من مولود يولد إلا على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟" ثم يقول أبو هريرة: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ (٣).

وإن من أعظم ما يشهد لهذه الفطرة المركوزة في النفوس، ما يراه الناظر في أحوال المضطرين الواقعين في المهالك والشدائد كيف تضطربهم الضرورات وتدفعهم الحاجات إلى اللجوء إلى ربهم وخالقهم سائلين مفتقرين فيكشف كربتهم ويوجب دعوتهم، قال الحق جل وعلا: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدًا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ قَلِيلًا مَّا نَذَكَّرُونَ﴾ (٤).

(١) السعدي، مصدر سابق: ص: ٣٠٨.

(٢) سورة الروم، الآية: ٣٠.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه؟، الحديث رقم: ١٣٥٨، وصحيح مسلم، كتاب: القدر، باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، الحديث رقم: ٢٦٥٨.

(٤) سورة النمل، الآية: ٦٢.

٢ - دلالة الخلق والإيجاد:

وهذه الدلالة التي يعرضها القرآن بأساليب مختلفة وطرق متعددة، تشمل كل مخلوقات الله تعالى من أصغر شيء في هذا الكون وهو الذرة إلى أكبر شيء فيه وهو الجرة، وقد أظهر القرآن الكريم في هذه المخلوقات كمال قدرة الرب جل وعلا وعظيم حكمته وواسع رحمته، وبين أن القادر على إيجاد هذه المخلوقات المتنوعة والمتباينة هو الرب سبحانه، وهو الذي يستحق أن يعبد دون سواه، قال جل شأنه:

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(١)، وتحدى الذين يعبدون غيره أن يدعوا هذه المعبودات أن تخلق أحقر مخلوق قال جل وعلا: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾^(٢)، كما خاطب القرآن الكريم عقول هؤلاء المنكرين لربوبيته تعالى فقال: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾^(٣) أَمْ خُلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ^(٣) قال الإمام السعدي رحمه الله تعالى: "وهذا استدلال عليهم، بأمر لا يمكنهم فيه إلا التسليم للحق، أو الخروج عن موجب العقل والدين، وبيان ذلك: أنهم منكرون لتوحيد الله، مكذبون لرسوله، وذلك مستلزم لإنكار أن الله خلقهم.

وقد تقرر في العقل مع الشرع، أن الأمر لا يخلو من أحد ثلاثة أمور:

- إما أنهم خلقوا من غير شيء أي: لا خالق خلقهم، بل وجدوا من غير إيجاد ولا موجد، وهذا عين المحال.

- أم هم الخالقون لأنفسهم، وهذا أيضا محال، فإنه لا يتصور أن يوجدوا أنفسهم.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١.

(٢) سورة الحج، الآية: ٧٣.

(٣) سورة الطور، الآيتان: ٣٥-٣٦.

- فإذا بطل هذان الأمران، وبان استحالتهما، تعين القسم الثالث أن الله الذي خلقهم، وإذا تعين ذلك، علم أن الله تعالى هو المعبود وحده، الذي لا تنبغي العبادة ولا تصلح إلا له تعالى.

وقوله: ﴿ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ وهذا استفهام يدل على تقرير النفي أي: ما خلقوا السماوات والأرض، فيكونوا شركاء لله، وهذا أمر واضح جدا، ولكن المكذبين ﴿ لَا يُوقِنُونَ ﴾ أي: ليس عندهم علم تام، ويقين يوجب لهم الانتفاع بالأدلة الشرعية والعقلية^(١).

كما تحدث القرآن الكريم عن مظاهر كثيرة من مظاهر الخلق في هذا الكون الفسيح، كخلق السموات وما فيها من كواكب ونجوم، والأرض وما فيها من جبال وأنهار وبحار، في مواضع كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَأْنَا فِيهَا كُلَّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾^(٣) هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه^٤ بل الظالمون في ضلال مبين^(٥).

٣- دلالة العناية والإعداد:

إن المتأمل في خلق الله تعالى في رحاب هذا الكون الفسيح يرى فيه الدلالة الواضحة على تمام لطفه سبحانه وكمال علمه وشمول عنايته جل وعلا، وأنه ما خلق ذلك كله إلا بالحق، قال سبحانه: ﴿ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ﴾^(٤)، وقال تبارك وتعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ ﴾^(٥)، وقال جل شأنه:

(١) السعدي، مصدر سابق، ص: ٨١٦.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١.

(٣) سورة لقمان، الآيات: ١٠-١١.

(٤) سورة الأحقاف، الآية: ٣.

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ١٦.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكُمْ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ (٢٧) (١)،
قال الإمام الطبري رحمه تعالى:

" يقول تعالى ذكره: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ عبثاً ولهوا، ما خلقناهما إلا ليعمل فيهما بطاعتنا، وينتهي إلى أمرنا ونهيها.

﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يقول: أي ظن أنا خلقنا ذلك باطلا ولعبا، ظن الذين كفروا بالله فلم يوحده، ولم يعرفوا عظمته، وأنه لا ينبغي أن يعبث، فيتقنوا بذلك أنه لا يخلق شيئا باطلا" (٢).

ويلمس الناظر بعين البصيرة في هذا العالم صغيره وكبيره تسخير الله تعالى ذلك كله لصالح هذا الإنسان الذي كرمه تعالى، ولنتأمل قوله تعالى في هذا السياق: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ (٣٢) ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ (٣٣) ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (٣٤) (٣).

وإذا تدبر الإنسان في هذه المخلوقات رأى كيف هداها المولى جل وعلا إلى مصالحها ومنافعها، وكيف يسر لها أقواتها وأرزاقها وألمها إلى حوائجها، وعلم من ذلك العناية العظيمة والتدبير الشامل منه جل وعلا لهذه المخلوقات، وهذا من أعظم البراهين الدالة على ربوبيته ووحدانيته تعالى، كما قال موسى عليه الصلاة والسلام لفرعون لما أنكر واعترض على ربوبية الله تعالى: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾ (٤٩) ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ (٥٠) (٤)، وهذا " جواب في غاية البلاغة لاختصاره وإعراجه

(١) سورة ص، الآية: ٢٧.

(٢) الطبري، مصدر سابق: ١٩٠/٢١.

(٣) سورة إبراهيم، الآيات: ٣٢-٣٤.

(٤) سورة طه، الآيات: ٤٩-٥٠.

عن الموجودات بأسرها على مراتبها ودلالته على أن الغني القادر بالذات المنعم على الإطلاق هو الله تعالى وأن جميع ما عداه مفتقر إليه منعم عليه في حد ذاته وصفاته وأفعاله، ولذلك بهت الذي كفر وأفحم عن الدخول عليه فلم ير إلا صرف الكلام عنه." (١)

٤ - دلالة الإتقان والتقدير:

إن هذه الدلالة من أيسر الدلالات التي يدركها العقل الإنساني بكل سهولة إذا تأمل في هذا الكون العظيم علويه وسفليه، فيرى دقة هذا النظام وقوة هذا الإحكام وشمول هذا الإتقان لكل مخلوق وكل حركة، وكلما تكرر النظر وتتابع الفكر وتقدم الزمان وتطورت وسائل العلم كلما أيقن الإنسان وأدرك دلالة هذا الخلق على بارئه وخالقه جل وعلا؛ وذلك أنه سبحانه قد ﴿ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾ (٢) وأنه جل شأنه: ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ مَقْدِيرًا ﴾ (٣)، وأنه: ﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ^٢ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ^٣ ﴾ (٤).

وقد بين القرآن الكريم عجز الإنسان عن إيجاد حلال أو تفاوت في شيء من خلق الله تعالى مهما حرص على ذلك، قال تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ ^٣ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ^٤ ﴾، قال الشيخ المراغي رحمه الله:

"أي هو الذي أوجد سبع سموات بعضها فوق بعض في جو الهواء بلا عماد، ولا رابط يربطها مع اختصاص كل منها بجزء معين ونظم ثابتة لا تتغير بل بنظام الجاذبية البديع بين أجرام الأرضين

(١) البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر محمد الشيرازي، ط ١، (بيروت، دار الكتب العلمية: ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م)، ٥٤/٢:.

(٢) سورة السجدة، الآية: ٧.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٢.

(٤) سورة الأعلى، الآيتان: ٢-٣.

والسماوات ، كما جاء في قوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (١).

ثم ذكر دلائل العلم فقال: ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوُّتٍ فَأَرْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ أي لا ترى أيها الرائي تفاوتاً وعدم تناسب ، فلا يتجاوز شيء منه الحد الذي يجب له زيادة أو نقصاً على نحو ما قيل:

تناسبت الأعضاء فيه فلا ترى * بهن اختلافاً بل أتين على قدر (٢)
فإن كنت في ريب من هذا فارجع البصر حتى تتضح لك الحال، ولا يبقى لك شبهة في تحقق ذلك التناسب والسلامة من الاختلاف والشقوق بينها.

وإنما قال: ﴿فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوُّتٍ﴾ دون أن يقول: (فيها) تعظيماً لخلقهن ، وتنبهها إلى سبب سلامتهن من التفاوت بأنهن من خلق الرحمن، وأنه خلقهن بباهر قدرته وواسع رحمته تفضلاً منه وإحساناً ، وأن هذه الرحمة عامة في هذه العوالم جميعاً.

ثم أمره بتكرير البصر في خلق الرحمن على سبيل التصفح والتتبع، هل يجد فيه عيباً وخللاً فقال: ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ أي إنك إذا كررت النظر لم يرجع إليك البصر بما طلبته من وجود الخلل والعيب، بل يرجع إليك صاغراً ذليلاً لم ير ما يهوى منهما، حتى كأنه طرد وهو كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة" (٣).

(١) سورة الرعد، جزء من الآية: ٢.

(٢) لم أقف على قائله حسب ما طلعت عليه من مراجع.

(٣) المراغي، أحمد مصطفى، تفسير الشيخ المراغي، (مصر، طبعة مكتبة مصطفى الباي الحلبي وأولاده): ٦/٢٩-٧.

وفي ختام هذا الفصل لا بد من التذكير أن ما سبق ما هو إلا غيض من فيض ونقطة من بحر من البراهين والأدلة التي تندرج تحت هذه الدلالات على ربوبية الله تعالى ووحدانيته.

وأختم هذا المبحث بهذا الدعاء الذي قاله الشيخ الأصبهاني في كتاب العظمة: "فسبحان الذي أوضح دلالاته للمتفكرين، وأبدى شواهدة للناظرين، وبين آياته للعاقلين، وقطع عذر المعاندين، وأدحض حجج الجاحدين، وأعمى أبصار الغافلين، وتبارك أحسن الخالقين، والحمد لله مالك يوم الدين، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله رب العالمين"^(١).

(١) أبو الشيخ، عبد الله بن محمد بن جعفر الأصبهاني، كتاب العظمة، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، ط: ٢، (الرياض، دار العاصمة: ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)، ١/٢٨٧.

المبحث الثاني: الاعتراض على ألوهية الله تعالى:

إن حديث القرآن الكريم عن هذا النوع من الاعتراض أكثر تفصيلاً من حديثه عن الاعتراض على ربوبية الله تعالى؛ وذلك أن أغلب الكفار إنما نازعوا في توحيد الألوهية والذي هو الغاية من الخلق، ولهذا كان التركيز عليه أكثر.

وقد حاول المشركون على مر التاريخ أن يوردوا الاعتراضات الواهية والشبهات السخيفة التي واجهوا بها رسل الله سعياً في إبطال دعوة التوحيد ونصرة ما هم عليه من المعتقدات الباطلة، وقد سلكوا في سبيل ذلك كل الأساليب الشنيعة من تكذيب واستهزاء وسخرية وتهديد كما سبق تفصيل ذلك. وقد كان القرآن بالمرصاد لهؤلاء المعاندين المشركين، فرد على اعتراضاتهم ونقض شبهتهم بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة وأبطل ما هم عليه من العقائد الفاسدة.

المطلب الأول: الاعتراضات التي أوردتها المشركون على توحيد الألوهية:

لقد سبق وأن أشرت في مبحث سالف أن اعتراضات المشركين متشابهة كأنهم تواصلوا بها وتوارثوها بينهم؛ وما ذلك إلا لتشابه قلوبهم كما قال المولى جل وعلا: ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾^(١).

وهذه جملة هذه الاعتراضات التي واجه بها المشركون الأنبياء في توحيد الله تعالى:

١- الاحتجاج بما كان عليه الآباء والأجداد:

وهذه الشبهة تكاد تكون مشتركة بين جميع الأمم المشتركة بالله تعالى، وقد سبقت الإشارة إليها في أثناء الحديث عن أسباب الاعتراض على الله تعالى.

وقد واجه المشركون رسلهم بهذا الاعتراض، واستنكروا مخالفة الرسل لما كان عليه آبائهم، واتهموهم بشتى أنواع التهم، وحسبوا أن ما اعتمدوا عليه من تقليد الآباء حجة تنصر عبادتهم للأصنام من دون الله تعالى.

(١) سورة البقرة، جزء من الآية: ١١٨.

٢- الاحتجاج بأن معبوداتهم تشفع لهم عند الله تعالى:

لقد حاول المشركون الاعتراض على دعوة الرسل إلى توحيد الله تعالى بالعبودية بشبهة واهية، ألا وهي أنهم إنما يعبدون هذه الأصنام لتشفع لهم عند الله، كما قال جل شأنه: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾^(١)، "أي ويقولون في سبب عبادتهم لهم مع اعتقادهم أنهم لا يملكون الضر والنفع بأنفسهم إيمانهم بأن الرب الخالق هو الله تعالى، وهؤلاء شفعاء عنده ونحن إنما نعبدهم ونعظمها كلهم ونطيبها بالعطر ونقدم لهم النذور ونهل لهم عند ذبح القرابين بذكر أسمائهم وبدعائهم والاستغاثة بهم، لأنهم يشفعون لنا عند الله ويقربونا إليه زلفى ويدفعون بجاههم عنا البلاء ويعطوننا ما نطلب من النعماء.

وقد روى عكرمة أن النضر بن الحارث قال: إذا كان يوم القيامة شفعت لي اللات والعزى^(٢)

فأساس عقيدة الشرك أن جميع ما يطلب من الله لا بد أن يكون بوساطة المقربين عنده، إذ هم لا يمكنهم التقرب من الله والحظوة عنده بأنفسهم لأنها مدتسة بالمعاصي - أما الموحدون فيعتقدون أنه يجب على العاصي أن يتوجه إلى الله وحده تائباً إليه طالبا مغفرته ورحمته.^(٣)

وقال سبحانه في هذا المعنى أيضا: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا

لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ

كَفَّارٌ﴾^(٤).

(١) سورة يونس، جزء من الآية: ١٨.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره رقم: ٥٤٣٩، (٣/٩٧٣).

(٣) المراغي، مصدر سابق: ٨١/١١-٨٢.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٣.

المطلب الثاني: ردود القرآن على اعتراضات المشركين على توحيد الألوهية:

لما كان توحيد الله تعالى في ألوهيته هو أساس الدين وأصله، فقد أفصح عنه القرآن غاية الإفصاح وبينه غاية البيان، وأورد عليه من الحجج والبراهين ما لا يحصى عدداً، وما من سورة من سور القرآن إلا وفيها دلالة على هذا التوحيد؛ وذلك أن الخصومة والتزاع بين الأنبياء وأقوامهم إنما كانت فيه، قال جل شأنه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ﴾ (٣٦) (١).

وقد سلك القرآن عدة أساليب في الرد على المعترضين من أهل الكفر والعناد على ألوهيته تعالى، وأبطل شبهاتهم الواهية بعدة دلالات، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ (٦٢) (٢).
وفي ما يلي بيان هذه الدلالات:

١- الاستدلال على توحيد الألوهية بتوحيد الربوبية:

لما كان أفراد المولى سبحانه أمراً مركزاً في الفطر كما سبق بيانه، فقد ألزم القرآن الكريم المشركين بمقتضى هذا الإقرار، وتعددت الآيات القرآنية التي تلفت أنظار المخاطبين وتنبه عقولهم إلى هذه الحجة القاطعة، قال تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنِّي يَكُونُ لَهُ، وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١٠١) ﴿ذَلِكَ كُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (١٠٢) (٣)، قال السعدي رحمه الله تعالى:

(١) سورة النحل، الآية: ٣٦.

(٢) سورة الحج، الآية: ٦٢.

(٣) سورة الأنعام، الآيتان: ١٠١-١٠٢.

﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: خالقهما، ومتقن صنعتهما، على غير مثال سبق، بأحسن خلق، ونظام وبهاء، لا تقترح عقول أولي الأبواب مثله، وليس له في خلقهما مشارك.

﴿أَنِّي يَكُونُ لَهُ، وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً﴾ أي: كيف يكون لله الولد، وهو الإله السيد الصمد، الذي لا صاحبة له أي: لا زوجة له، وهو الغني عن مخلوقاته، وكلها فقيرة إليه، مضطرة في جميع أحوالها إليه، والولد لا بد أن يكون من جنس والده؛ والله خالق كل شيء وليس شيء من المخلوقات مشابهاً لله بوجه من الوجوه.

ولما ذكر عموم خلقه للأشياء، ذكر إحاطة علمه بها فقال: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ وفي ذكر العلم بعد الخلق، إشارة إلى الدليل العقلي إلى ثبوت علمه، وهو هذه المخلوقات، وما اشتملت عليه من النظام التام، والخلق الباهر، فإن في ذلك دلالة على سعة علم الخالق، وكمال حكمته، كما قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(١)، وكما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾^(٢)، ذلكم الذي خلق ما خلق، وقدر ما قدر ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ أي: المألوه المعبود، الذي يستحق نهاية الذل، ونهاية الحب، الرب، الذي ربي جميع الخلق بالنعمة، وصرف عنهم صنوف النقم. ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ﴾ أي: إذا استقر وثبت، أنه الله الذي لا إله إلا هو، فاصرفوا له جميع أنواع العبادة، وأخلصوها لله، واقصدوا بها وجهه. فإن هذا هو المقصود من الخلق، الذي خلقوا لأجله ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٣) (٤).

(١) سورة الملك، الآية: ١٤.

(٢) سورة يس، جزء من الآية: ٨١.

(٣) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٤) السعدي، مصدر سابق: ص ٢٦٧-٢٦٨.

وفي معنى هذه الآيات قوله سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾^(١)، وغيرها كثير.

٢- الاستدلال بعجز الآلهة المدعوة من دون الله تعالى:

وهذا الاستدلال تابع للذي قبله ومكمل له، حيث يركز القرآن على إظهار عجز هذه المعبودات التي يتقرب إليها المشركون ويتواصون بالصبر عليها، ويبين أنها لا تملك لنفسها ضرا ولا نفعا وأنها أضعف وأعجز عن أن تنصر أنفسها فضلا عن عابديها، قال الحق سبحانه: ﴿أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سِوَاءَ عَلَيْكُمْ أَدْعَاؤُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَاحِبُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالِكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَمْ أَرْجُلُ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظِرُونَ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابُ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَبَّهُمْ يُنظِرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾﴾^(٢).

وهذا المسلك في الاستدلال سلكه خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام في دعوة أبيه: ﴿يَتَابَتِ لِمَ

تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾^(٣).

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٢١-٢٢.

(٢) سورة الأعراف، الآيات: ١٩١-١٩٨.

(٣) سورة مريم، الآية: ٤٢.

٣- الاستدلال بأن الشفاعة ملك لله وحده:

لقد كان من أوهى الاعتراضات التي أوردها المشركون على دعوة التوحيد ذلك الادعاء أن معبوداتهم تشفع لهم عند الله تعالى، ومع وضوح بطلانها فقد رد عليها القرآن الكريم في مواضع كثيرة منها قوله تعالى: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ٤٣ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ٤٤﴾^(١)، قال ابن كثير رحمه الله:

" يقول تعالى ذاما للمشركين في اتخاذهم شفعاء من دون الله، وهم الأصنام والأنداد التي اتخذوها من تلقاء أنفسهم بلا دليل ولا برهان حادهم على ذلك، وهي لا تملك شيئاً من الأمر، بل وليس لها عقل تعقل به، ولا سمع تسمع به، ولا بصر تبصر به، بل هي جمادات أسوأ حالا من الحيوان بكثير. ثم قال: قل: أي يا محمد لهؤلاء الزاعمين أن ما اتخذوه شفعاء لهم عند الله، أخبرهم أن الشفاعة لا تنفع عند الله إلا لمن ارتضاه وأذن له، فمرجعها كلها إليه، ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾^(٢)، ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: هو المتصرف في جميع ذلك ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي: يوم القيامة، فيحكم بينكم بعدله، ويجزي كلا بعمله." ^(٣)

وقال جل شأنه: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، قال شيخ المفسرين الطبري رحمه الله:

"إن الله تعالى ذكره أخبر أنه لا يملك الذين يعبدهم المشركون من دون الله الشفاعة عنده لأحد، إلا من شهد بالحقّ، وشهادته بالحقّ: هو إقراره بتوحيد الله، يعني بذلك: إلا من آمن بالله، وهم يعلمون حقيقة توحيده، ولم يخصص بأن الذي لا يملك ملك الشفاعة منهم بعض من كان يعبد من دون الله،

(١) سورة الزمر، الآيتان: ٤٣-٤٤.

(٢) سورة البقرة، جزء من الآية: ٢٥٥.

(٣) ابن كثير، تفسير، مصدر سابق: ١٠٢/٧.

فذلك على جميع من كان تعبد قريش من دون الله يوم نزلت هذه الآية وغيرهم، وقد كان فيهم من يعبد من دون الله الآلهة، وكان فيهم من يعبد من دونه الملائكة وغيرهم، فجميع أولئك داخلون في قوله: ولا يملك الذين يدعوا قريش وسائر العرب من دون الله الشفاعة عند الله. ثم استثنى جل ثناؤه بقوله: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ وهم الذين يشهدون شهادة الحق فيوحدون الله، ويخلصون له الوجدانية، على علم منهم ويقين بذلك، أنهم يملكون الشفاعة عنده بإذنه لهم بها، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾^(١)، فأثبت جل ثناؤه للملائكة وعيسى وعُزير ملكهم من الشفاعة ما نفاه عن الآلهة والأوثان باستثنائه الذي استثناه^(٢).

(١) سورة الأنبياء، جزء من الآية: ٢٨.

(٢) الطبري، مصدر سابق: ٦٥٤/٢١-٦٥٥.

الفصل الثاني: الاعتراض على رسل الله تعالى

إن الإيمان بالرسول أصل من أصول الإيمان الذي لا يصح إلا به، وهو من مستلزمات الإيمان بالله تعالى؛ ولذلك فمن يزعم الإيمان به سبحانه دون الإيمان برسله ويريد أن يفرق بين الله ورسله فهو الكافر حقا، قال جل وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۗ ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ۗ ﴿١٥١﴾﴾^(١)، والذين ينكرون أن يرسل الله الرسل وأن يتزل عليهم الكتب لا يقدرونه تعالى حق قدره ولا يعلمون مقتضى صفاته التي اتصف بها من العلم والحكمة والرحمة، قال الحق تبارك وتعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۗ ﴿٢﴾﴾.

فلا يمكن للعباد أن يستغنوا عن الرسل والرسالة، "فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا، ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم، ولا ينال رضى الله البتة إلا على أيديهم، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق، ليس إلا هديهم وما جاؤوا به، فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال، وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها، فأبي ضرورة وحاجة فرضت، فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير، وما ظنك بمن إذا غاب عنك هديه وما جاء به طرفة عين، فسد قلبك وصار كالحوت إذا فارق الماء ووضع في المقلاة، فحال العبد عند مفارقة قلبه لما جاء به الرسل، كهذه الحال، بل أعظم، ولكن لا يحس بهذا إلا قلب حي وما لجرح بميت إيلام"^(٣).

(١) سورة النساء، الآيتان: ١٥٠-١٥١.

(٢) سورة الأنعام، جزء من الآية: ٩١.

(٣) ابن القيم، زاد المعاد، مصدر سابق: ٦٩/١.

المبحث الأول: اعتراضات الكفار على رسل الله تعالى:

لقد أظهر القرآن الكريم كيف أن الكفار على مر التاريخ والعصور رفضوا التسليم للرسول عليهم الصلاة والسلام، واستنكفوا واستكبروا عن متابعتهم فيما جاءوهم به من عند الله تعالى من الشرائع والأحكام، بل واعترضوا عليهم بما اعتقدوه حججا وبراهين لإبطال بعثتهم، وإنما هي شبهة وظنون.

وهذه جملة الاعتراضات والشبه التي أوردها الكفار على أنبياء الله تعالى:

١- الاعتراض على بشرية الرسل عليهم الصلاة والسلام:

هذه الشبهة تكاد تكون مشتركة بين جميع الأمم المكذبة للرسول عليهم الصلاة والسلام، وقد ذكر القرآن الكريم أن هذه الشبهة هي التي اتكأ عليه من كفر بالهدى الذي بعث الله به رسله، قال جل شأنه: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾، قال ابن عاشور رحمه الله:

"وقوله ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾: يقتضي بصريحه أنهم قالوا بألسنتهم وهو مع ذلك كناية عن اعتقادهم ما قالوه؛ ولذلك جعل قولهم ذلك مانعا من أن يؤمنوا لأن اعتقاد قائله يمنع من إيمانهم بضده ونطقهم بما يعتقدونه يمنع من يسمعونهم من متبعي دينهم.

وإلقاء هذا الكلام بصيغة الحصر وأداة العموم جعله تذييلا لما مضى من حكاية تفننهم في أساليب التكذيب والتهم.

فالظاهر حمل التعريف في ﴿النَّاسِ﴾ على الاستغراق: أي ما منع جميع الناس أن يؤمنوا إلا ذلك التوهم الباطل لأن الله حكى مثل ذلك عن كل أمة كذبت رسولها فقال حكاية عن قوم نوح: ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا

﴿الْأَوَّلِينَ﴾^(١)، وحكى مثله عن هود: ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾^(٢) ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ ﴿٣٤﴾^(٣)، وعن قوم صالح: ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾^(٤)، وعن قوم شعيب: ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾^(٥)، وحكى عن قوم فرعون: ﴿أَتُؤْمِنُ لِشَرِّينَ مِثْلِنَا﴾^(٦)، وقال في قوم محمد: ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾^(٧) ﴿٦﴾(٧) .

ومما يلاحظ في هذا الاعتراض الذي أوردوه أنهم تعللوا بأن الرسل مساوون لهم في البشرية، و"أن المساواة تنافي دعوى تفوق أحد المتساويين على الآخر يجعل أحدهما تابعا طائعا، والآخر متبوعا مطاعا."^(٨)

ومن توابع هذا الاعتراض على بشرية الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام ما اشترطه هؤلاء الكفار من أن يبعث الله إليهم ملائكة، كما ورد عن قوم عاد وثمود: ﴿إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كٰفِرُونَ﴾^(٩)، وكما ورد عن فرعون الطاغية الذي اشترط أن يتزل الله تعالى ملائكة ليكونوا شهودا مع موسى عليه السلام قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلٰٓئِكَةُ

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٢٤.

(٢) سورة المؤمنون، الآيتان: ٣٣-٣٤.

(٣) سورة الشعراء، الآية: ١٥٤.

(٤) سورة الشعراء، الآية: ١٨٦.

(٥) سورة المؤمنون، الآية: ٤٧.

(٦) سورة ق، الآية: ٢.

(٧) ابن عاشور، مصدر سابق: ٢١٢/١٥.

(٨) رضا، محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، سنة النشر: ١٩٩٠م، (الهيئة المصرية العامة للكتاب): ٥٣/١٢.

(٩) سورة فصلت، الآية: ١٤.

﴿مُقْتَرِنِينَ﴾^(١)، وكذلك كفار قريش ذكر الله عنهم: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾^(٢).

٢- الاعتراض على اختيار الله لرسله:

من غرائب الاعتراضات التي حاول الكفار أن يمتنعوا به عن الإيمان بالرسول الكرام عليهم الصلاة والسلام أن الله خصهم بالرسالة دون غيرهم، كما ذكر الله تعالى عن قوم ثمود: ﴿أَلْقَى الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلٌّ هُوَ كَذَّابٌ أَشْرٌ﴾^(٣)، "أي: كيف يخصه الله من بيننا ويتزل عليه الذكر؟ فأى مزية خصه من بيننا؟ وهذا اعتراض من المكذبين على الله، لم يزالوا يدلون به، ويصلون ويجولون ويردون به دعوة الرسل"^(٤).

وأخبر القرآن الكريم بهذا أيضا عن كفار قريش مع النبي ﷺ: ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلٌّ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي﴾^(٥)، "ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن كفار مكة، أنكروا أن الله خص نبيه محمدا ﷺ بإنزال القرآن عليه وحده، ولم يتزل على أحد آخر منهم، وما دلت عليه هذه الآية الكريمة، جاء في آيات أخر، مع الرد على الكفار في إنكارهم خصوصه صلى الله عليه وسلم بالوحي، كقوله تعالى عنهم: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْبَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾^(٦) يعنون بالقريتين مكة والطائف، وبالرجلين من القريتين الوليد بن المغيرة في مكة، وعروة بن مسعود في الطائف زاعمين أنهما أحق بالنبوة منه."^(٧)

(١) سورة الزحرف، الآية: ٥٣.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٧.

(٣) سورة القمر، الآية: ٢٥.

(٤) السعدي، مصدر سابق، ص: ٨٢٦.

(٥) سورة ص، جزء من الآية: ٨.

(٦) سورة الزحرف، الآية: ٣١.

(٧) الشنقيطي، مصدر سابق: ٦/٣٣٧.

٣- الاعتراض على الرسل بأنهم يسعون وراء الجاه والمناصب:

لقد حاول الكفار - خاصة المملأ منهم - أن يثيروا هذه الشبهة الباطلة على صفوة خلق الله تعالى، فزعموا أنهم إنما ادعوا النبوة والرسالة سعياً وراء تحصيل الجاه والملك والاستعلاء على الناس، قال جل شأنه عن قوم نوح عليه السلام: ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ﴾^(١)، "فإن سادة القوم ظنوا أنه ما جاء بتلك الدعوة إلا حبا في أن يسود على قومهم فخشوا أن تزول سيادتهم وهم بجهلهم لا يتدبرون أحوال النفوس ولا ينظرون مصالح الناس ولكنهم يقيسون غيرهم على مقياس أنفسهم. فلما كانت مطامح أنفسهم حب الرئاسة والتوسل إليها بالانتصاب لخدمة الأصنام توهموا أن الذي جاء بإبطال عبادة الأصنام إنما أراد منازعتهم سلطانهم."^(٢)

وقال فرعون وقومه لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾^(٣).

٤- الاعتراض على الرسل الكرام بكون أتباعهم من الضعفاء:

إن مما شنع به المترفون والمملأ من الكفار في كل زمان على رسل الله تعالى هذه الشبهة الواهية، وهي أن أتباعهم إنما هم من أراذل الناس وضعفائهم، قال جل شأنه عن قوم نوح عليه السلام: ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرْنِكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرْنَكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يَبْادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرِي لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَنْظُرُكُمْ كَذِبِينَ ﴾^(٤)، قال ابن كثير رحمه الله: "﴿ فَقَالَ ﴾" ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ﴾ والمملأ هم: السادة والكبراء من الكافرين منهم: ﴿ مَا نَرْنَكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا ﴾ أي: لست بملك، ولكنك بشر، فكيف أوحى إليك من دوننا؟ ثم ما نراك أتبعك إلا

(١) سورة المؤمنون، جزء من الآية: ٢٤.

(٢) ابن عاشور، مصدر سابق: ٤٢/١٨.

(٣) سورة يونس، الآية: ٧٨.

(٤) سورة هود، الآية: ٢٧.

أرادلنا كالباعة والحاقة وأشباههم ولم يتبعك الأشراف ولا الرؤساء منا، ثم هؤلاء الذين اتبعوك لم يكن عن ترو منهم ولا فكرة ولا نظر، بل بمجرد ما دعوتهم أجاوبك فاتبعوك؛ ولهذا قال: ﴿ وَمَا نَزَّلْنَاكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّئِ الرَّأْيِ ﴾ أي: في أول بادئ الرأي، ﴿ وَمَا نَزَّلْنَاكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ ﴾ يقولون: ما رأينا لكم علينا فضيلة في خلق ولا خلق، ولا رزق ولا حال، لما دخلتم في دينكم هذا، ﴿ بَلْ نُنَظِّمُ كَذِّبِينَ ﴾ أي: فيما تدعونه لكم من البر والصلاح والعبادة، والسعادة في الدار الآخرة إذا صرتم إليها" (١).

وقالوا أيضا: ﴿ أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴾ (٢).

وقد حاول كفار قريش أن يضغطوا على النبي صلى الله عليه وسلم لطرده صحابته الكرام فنهاه الله تعالى عن الاستجابة لطلبهم السخيف بقوله: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَطَرَدَهُمْ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٣).

(١) ابن كثير، تفسير، مصدر سابق،: ٣١٦/٤.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ١١١.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٥٢.

المبحث الثاني: ردود القرآن على اعتراضات الكفار على رسل الله تعالى:

إن الرسل عليهم الصلاة والسلام هم سفرة الله تعالى إلى عباده ومبلغوا دينه إلى خلقه، ودعاة الناس إلى ربهم؛ ولذلك فإن الله جل وعلا قد اختارهم وهياهم لهذه المهمة الثقيلة والوظيفة الجليلة، يقول المولى جل وعلا: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾^(١) ففي هذه الآية الكريمة "بين حالة الرسل، وتميزهم عن الخلق بما تميزوا به من الفضائل فقال:

﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ أي: يختار ويختي من الملائكة رسلا ومن الناس رسلا يكونون أزكى ذلك النوع، وأجمعه لصفات المجد، وأحقه بالاصطفاء، فالرسل لا يكونون إلا صفوة الخلق على الإطلاق، والذي اختارهم واصطفاهم ليس جاهلا بحقائق الأشياء، أو يعلم شيئا دون شيء، وإنما المصطفى لهم، السميع، البصير، الذي قد أحاط علمه وسمعته وبصره بجميع الأشياء، فاخياره إياهم، عن علم منه، أنهم أهل لذلك، وأن الوحي يصلح فيهم كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾^{(٢)(٣)}.

وفي المميزات الآتية ما يرد على اعتراضات الكفار على هؤلاء الأخيار عليهم الصلاة والسلام:

١- الرسل بشر أعدهم الله لحمل النبوة والرسالة:

الذين استنكروا واعترضوا على كون الرسل بشرا مثلهم إنما نظروا إلى مساواتهم في خصائص الجسد كالأكل والشرب والمشي في الأسواق، كما قال كفار قريش عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿وَقَالُوا مَا لِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾^(٤)، وتغافلوا عن أن النبوة إنما نالها هؤلاء الكرام عن طريق الوحي الذي هو أمر إلهي محض لا دخل ولا أثر لسعي العبد في كسبه، فلا ينالها بالجهد الفكري أو الرياضة الروحية - كما يزعم ضلال

(١) سورة الحج، الآية: ٧٥.

(٢) سورة الأنعام، جزء من الآية: ١٢٤.

(٣) السعدي، مصدر سابق، ص: ٥٤٦.

(٤) سورة الفرقان، الآية: ٧.

الفلاسفة - ولا أثر للاعتبارات المادية والدينية فيها، فهي منحة إلهية ومنة ربانية يختار الله لها من يشاء من عباده الذين أعدهم لذلك، قال جل شأنه: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾^(١)، والمعنى: أن المماثلة في البشرية لا تقتضي المماثلة في زائد عليها فالبشر كلهم عباد الله والله يمين على من يشاء من عباده بنعم لم يعطها غيرهم، الاستدراك رفع لما توهموه من كون المماثلة في البشرية مقتضى الاستواء في كل خصلة"^(٢).

كما رد القرآن الكريم على اقتراح الكفار إرسال الملائكة بحجتين قويتين: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكَ لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ ﴿٩﴾﴾^(٣).

- "يعني: أنه لو نزل عليهم الملائكة وهم على ما هم عليه من الكفر والمعاصي، لجاههم من الله العذاب، من غير إمهال ولا إنظار؛ لأنه حكم بأن الملائكة لا تنزل عليهم إلا بذلك، كما بينه تعالى بقوله: ﴿مَا نُنزِلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنظَرِينَ ﴿٤﴾﴾، وقوله: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ ﴿٥﴾﴾.

- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكَ لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ﴾، أي: لو بعثنا إلى البشر رسولا ملكيا، لكان على هيئة الرجل؛ لتمكنهم مخاطبته والانتفاع بالأخذ عنه؛ لأنهم لا يستطيعون النظر إلى الملائكة من شدة النور، ولو كان كذلك لالتبس عليهم الأمر كما هم يلبسون على أنفسهم في قبول رسالة الرسول البشري.

(١) سورة إبراهيم، الآية: ١١.

(٢) ابن عاشور، مصدر سابق، ٢٠١/١٣.

(٣) سورة الأنعام، الآيتان: ٨-٩.

(٤) سورة الحجر، الآية: ٨.

(٥) سورة الفرقان، جزء من الآية: ٢٢.

وهذه الآية الكريمة تدل على أن الرسول ينبغي أن يكون من نوع المرسل إليهم، كما أشار تعالى إلى ذلك أيضا بقوله: ﴿ قُلْ لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمَشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكًا رَسُولًا ﴾ (١)(٢).

٢- الرسل أزكى الخلق نفوسا وأزهدهم في الدنيا:

إن المتأمل في آيات القرآن الكريم سوف يرى إبراز ما كان عليه الرسل عليهم الصلاة والسلام من الخلق الكريم والسمت الحسن والشفقة والرحمة بأمتهم، وهذا شهد به الكفار واعترفوا به.

كما أبرز القرآن الكريم ما كانوا عليه من النصح والأمانة في تبليغ رسالات الله تعالى، لا يرجون من وراء ذلك كله مالا ولا جاها، ولذلك أكدوا على هذه الحقيقة في مستهل دعوتهم دفعا للشبه المغلوطة حول هدفهم وغايتهم من الدعوة إلى الله تعالى، قال جل شأنه عن نوح عليه السلام: ﴿ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُمْ مِنْ جَرِّ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٣)، وذكر مثله في سورة الشعراء عن هود وصالح ولوط وشعيب عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم.

٣- الضعفاء هم أغلب من استجاب لدعوة الرسل:

لقد بين القرآن الكريم أن الأموال والأولاد -بغير إيمان وعمل صالح- لا تقرب إلى الله تعالى ولا تدل على رضاه، والذين احتجوا بذلك من الكفار واهمون جدا؛ وذلك أن أمور الآخرة لا تقاس بأموال الدنيا، وقد رد الله تعالى على هذه الشبهة التي أثارها الكفار فقال: ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ (٤).

كما بين القرآن الكريم أن الاعتراض بكون أتباع الرسل من الضعفاء والفقراء دون الأشراف والكبراء اعتراض فاسد ورأي كاسد لا يستند إلى حجة ولا برهان، بل يدل "على جهلهم وقلة علمهم

(١) سورة الإسراء، الآية: ٩٥.

(٢) الشنقيطي، مصدر سابق، ٤٧٢/١:.

(٣) سورة يونس، الآية: ٧٢.

(٤) سورة سبأ، الآية: ٣٧.

وعقلهم، فإنه ليس بعار على الحق رذالة من اتبعه، فإن الحق في نفسه صحيح، وسواء اتبعه الأشراف أو الأراذل، بل الحق الذي لا شك فيه أن أتباع الحق هم الأشراف ولو كانوا فقراء، والذين يأبونه هم الأراذل ولو كانوا أغنياء، ثم الواقع غالباً أن من يتبع الحق ضعفاء الناس، والغالب على الأشراف والكبراء مخالفتهم، كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴾^(١)، ولما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان صخر بن حرب عن صفات النبي صلى الله عليه وسلم، قال له فيما قال: "أشراف الناس اتبعوه أو ضعفاؤهم؟ قال: بل ضعفاؤهم. فقال هرقل: هم أتباع الرسل"^(٢).

وقولهم: ﴿ بَادِيَ الرَّأْيِ ﴾ ليس بمذمة ولا عيب؛ لأن الحق إذا وضح لا يبقى للتروي ولا للفكر مجال، بل لا بد من اتباع الحق والحالة هذه لكل ذي زكاء وذكاء ولا يفكر ويتروي هاهنا إلا عيي أو غبي، والرسل، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، إنما جاءوا بأمر جلي واضح...، وقولهم: ﴿ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ ﴾^(٣) هم لا يرون ذلك؛ لأنهم عمي عن الحق، لا يسمعون ولا يبصرون: بل هم في ريبهم يترددون، في ظلمات الجهل يعمهون، وهم الأفاكون الكاذبون، الأقلون الأردلون، وفي الآخرة هم الأחסرون.^(٤)

(١) سورة الزخرف، الآية: ٢٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول ﷺ، الحديث رقم: ٧، وصحيح مسلم، كتاب:

الجهاد والسير، باب: كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعو إلى الإسلام، الحديث رقم: ١٧٧٣.

(٣) سورة هود، الآية: ٢٧..

(٤) ابن كثير، تفسير، مصدر سابق، ٤/٣١٦-٣١٧:.

الفصل الثالث: الاعتراض على أحكام الله تعالى:

إن من مقتضيات الرضا بالله ربا والإيمان به معبودا التسليم لأمره تعالى والتحاكم إلى شرعه وترك الاعتراض عليه، كما قال جل شأنه: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُقْلِحُونَ ﴾ (٥١) (١)، "أي: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ حقيقة الذين صدقوا إيمانهم بأعمالهم حين يدعون إلى الله ورسوله ليحكم بينهم، سواء وافق أهواءهم أو خالفها، ﴿ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ أي: سمعنا حكم الله ورسوله، وأجبنا من دعانا إليه، وأطعنا طاعة تامة، سالمة من الحرج." (٢)

ولذلك نفى سبحانه الإيمان عمن لم يسلم لحكمه وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم - جحودا واعتراضا على دينه - فقال جل شأنه: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٦٥) (٣)، فقد " أقسم تعالى في هذه الآية الكريمة بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم رسوله صلى الله عليه وسلم في جميع الأمور، ثم ينقاد لما حكم به ظاهرا وباطنا ويسلمه تسليما كلياً من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة" (٤). وبناء على ما سبق فإنه لا يستغرب ممن اعترض على الله تعالى في ربوبيته وألوهيته واعتراض على رسوله الكرام أن يعترض على أحكام الله تعالى وشرعه.

وقد أورد القرآن الكريم عدة اعتراضات للكفار في هذا الباب أجملها في المبحث الآتي:

- (١) سورة النور، الآية: ٥١.
- (٢) السعدي، مصدر سابق: ص: ٥٧٢.
- (٣) سورة النساء، الآية: ٦٥.
- (٤) الشنقيطي، مصدر سابق: ٢٤٥/١-٢٤٦.

المبحث الأول: اعتراضات الكفار على أحكام الله تعالى:

بعد تتبع واستقراء الاعتراضات التي أوردتها الكفار على أحكام الله سبحانه، يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام بحسب ما تتعلق به هذه الاعتراضات:

١- الاعتراض على أحكام الله تعالى بالتعنت في مخالفة أوامره جل وعلا::

ويندرج تحت هذا القسم عدة أمثلة:

- اعتراضات اليهود على أوامر الله تعالى: سبقت الإشارة إلى أن هذه الأمة الغضبية هي أكثر الأمم اعتراضاً وتعنتاً على أوامر الله تعالى، فقد اعترضوا على دخول الأرض المقدسة التي كتب الله لهم ودخول القرية - والتي هي بيت المقدس - واعترضوا على أمر الله لهم بذبح البقرة - في قصة القتيل - بكثرة التعنتات، كما اعترضوا على طالوت والجهاد معه، وقد تقدمت الآيات في ذلك كله في فصل اعتراض اليهود فلا داعي لإعادتها.

وقد بقي هذا التعنت والاعتراض في أجيال هذه الأمة الغضبية إلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم حيث اعترضوا - مع بعض المنافقين والمشركين - على أمر الله تعالى نبيه بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى البيت الحرام، كما قال الله عز وجل: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِمْ﴾^(١)، فأخبر تعالى أنه سيعترض السفهاء من الناس، وهم الذين لا يعرفون مصالح أنفسهم، بل يضيعونها ويبيعونها بأبخس ثمن، وهم اليهود والنصارى، ومن أشبههم من المعترضين على أحكام الله وشرائعه، وذلك أن المسلمين كانوا مأمورين باستقبال بيت المقدس، مدة مقامهم بمكة، ثم بعد الهجرة إلى المدينة، نحو سنة ونصف - لما لله تعالى في ذلك من الحكم التي سيشير إلى بعضها، وكانت حكمته تقتضي أمرهم باستقبال الكعبة، فأخبرهم أنه لا بد أن يقول السفهاء من الناس: ﴿مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِمْ﴾ وهي استقبال بيت المقدس، أي: أي شيء صرفهم عنه؟ وفي ذلك الاعتراض على حكم الله وشرعه، وفضله وإحسانه^(٢).

(١) سورة البقرة، جزء من الآية: ١٤٢.

(٢) السعدي مصدر سابق، ص: ٧٠.

- اعتراض المنافقين على أمر الله تعالى بالجهاد: كما قال تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ

بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ ۗ﴾^(١)

٢- الاعتراض على أحكام الله تعالى بانتهاك حرماته:

لقد أمر الله تعالى بتعظيم حرماته فقال جل شأنه: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ

لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ۗ﴾^(٢) أي: ومن يجتنب معاصيه ومحارمه ويكون ارتكابها عظيماً في نفسه، ﴿فَهُوَ خَيْرٌ

لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ۗ﴾ أي: فله على ذلك خير كثير وثواب جزيل، فكما على فعل الطاعات ثواب جزيل

وأجر كبير، وكذلك على ترك المحرمات واجتناب المحظورات^(٣).

وقد دأب الكفار في كل الأزمان على انتهاك هذه الحرمات إمعاناً منهم في مخالفة أحكام الله

تعالى والاعتراض عليها، وحاولوا أن يلبسوا على الجهال ببعض الشبه التي ظنوها حججاً وبراهينه على

ما اعترضوا عليه.

- فمن النماذج التي ذكرها المولى جل وعلا في القرآن موقف ثمود - قوم صالح عليه السلام -

من الناقة التي آتاها لنيبه لتكون علامة على صدق نبوته ورسالته؛ وذلك بعد ما طلبت ثمود ذلك وتعتوا

في وصفها وكيفية خروجها، إلا أنهم كفروا وكذبوا بها، بل وأمعنوا في العتو والعدا وضاقوا ذرعاً بالناقة

فأقدموا على انتهاك هذه الحرمه، قال تعالى: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصَلِّحُ

أَتَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَثِيمِينَ ﴿٧٨﴾﴾^(٤).

- ومن النماذج كذلك، ما ذكره الله تعالى عن اليهود - أهل العناد والاعتراض - من انتهاك

حرمة يوم السبت، قال جل شأنه: ﴿وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ

(١) سورة التوبة، الآية: ٨١.

(٢) سورة الحج، جزء من الآية: ٣٠.

(٣) ابن كثير، تفسير، مصدر سابق: ٤١٩/٥.

(٤) سورة الأعراف، الآيتان: ٧٧-٧٨.

يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ

كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾^(١)، قال الشيخ أحمد المراغي رحمه الله في تفسير هذه الآية: "الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والسؤال للتقرير المتضمن للتقريع والتوبيخ وبيان أن كفر أهل الكتاب بمحمد صلى الله عليه وسلم وبمعجزاته ليس بدعا جديدا منهم ، فإن أسلافهم أقدموا على هذا الذنب القبيح والمعصية الفاحشة واعتدوا هذا الاعتداء الشائن الذي قص الله خبره، والمعنى: واسأل بني إسرائيل عن أهل المدينة التي كانت قريبة من البحر رابكة على شاطئه ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾ أي أسألهم عن حالهم حين كانوا يعتدون في السبت ويجاوزون حكم الله بالصيد فيه وقد نهبوا عنه.

﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا﴾ أي يأتيهم السمك ظاهرا على وجه الماء يوم تعظيمهم للسبت بترك العمل والتفرغ للعبادة فيه ابتلاء من الله واختبارا لهم.

﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾ أي لا تأتيهم يوم لا يسبتون كما كانت تأتيهم يوم السبت حذرا من صيدهم لاعتيادها أحوالهم قيل إنها اعتادت ألا يتعرض أحد لصيدها يوم السبت فأمنت وصارت تظهر فيه وتخفى في الأيام التي لا يسبتون فيها لما اعتادت من اصطيدها فيها ، فلما رأوا ظهورها وكرتها في يوم السبت أغواهم ذلك بالاحتيال على صيدها فيه.

﴿كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ أي مثل هذا البلاء بظهور السمك يوم السبت نبتليهم ونعاملهم معاملة المختبر لحال من يراد إظهار حاله ليترتب الجزاء على عمله بسبب فسقهم المستمر على أمر ربهم واعتدائهم حدود شرعه ، فقد جرت سنة الله بأن من أطاعه سهل له أمور الدنيا وأجزل له الثواب في الآخرة ، ومن عصاه: ابتلاه بأنواع المحن والبلاء"^(٢).

- ومن الأمثلة كذلك، اعتراض المشركين على تحريم الربا بحجة أنه مثل البيع، قال تعالى:

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٦٣.

(٢) المراغي، مصدر سابق: ٩٤/٩-٩٥.

﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبْوِ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبْوَ﴾^(١)، قال ابن كثير رحمه الله: "أي: إنما جوزوا بذلك لاعتراضهم على أحكام الله في شرعه، وليس هذا قياساً منهم للربا على البيع؛ لأن المشركين لا يعترفون بمشروعية أصل البيع الذي شرعه الله في القرآن، ولو كان هذا من باب القياس لقالوا: إنما الربا مثل البيع، وإنما قالوا: ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبْوِ﴾ أي: هو نظيره، فلم حرم هذا وأبيح هذا؟ وهذا اعتراض منهم على الشرع، أي: هذا مثل هذا، وقد أحل هذا وحرم هذا!"^(٢).

- ومن الأمثلة كذلك: اعتراضهم على تحريم الميتة بحجة أنها مثل المذكاة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَيْكَ أَوْلِيَاءَهُمْ لِيُجَدِّدُوا لَكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾^(٣)، "فإن المشركين حين سمعوا تحريم الله ورسوله الميتة، وتحليله للمذكاة، وكانوا يستحلون أكل الميتة قالوا - معاندة لله ورسوله، ومجادلة بغير حجة ولا برهان - أتأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتل الله؟ يعنون بذلك: الميتة، وهذا رأي فاسد لا يستند على حجة ولا دليل بل يستند إلى آرائهم الفاسدة التي لو كان الحق تبعاً لها لفسدت السماوات والأرض، ومن فيهن.

فتبا لمن قدم هذه العقول على شرع الله وأحكامه، الموافقة للمصالح العامة والمنافع الخاصة. ولا يستغرب هذا منهم، فإن هذه الآراء وأشباهها، صادرة عن وحي أوليائهم من الشياطين، الذين يريدون أن يضلوا الخلق عن دينهم، ويدعوهم ليكونوا من أصحاب السعير.

﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ في شركهم وتحليلهم الحرام، وتحريمهم الحلال ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ لأنكم اتخذتموهم أولياء من دون الله، ووافقتموهم على ما به فارقوا المسلمين، فلذلك كان طريقكم طريقهم"^(٤).

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧٥.

(٢) ابن كثير، تفسير، مصدر سابق: ٧٠٩/١.

(٣) سورة الأنعام: ١٢١.

(٤) السعدي، مصدر سابق، ص: ٢٧١.

٣- اعتراض الكفار على التحاكم إلى شرع الله تعالى:

مما لا شك فيه أن الإيمان يقتضي الانقياد إلى شرع الله في كل الأمور، والتحاكم في جميع الخصومات إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ومن زعم الإيمان واختار رضي التحاكم إلى الطاغوت فهو كاذب وضال في هذا الزعم.

وهذه الحال حكاها الله تعالى عن طائفة من الكفار وهم المنافقون، قال الحق سبحانه: ﴿الْم تَر إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾^(١)، قال إمام المفسرين ابن جرير رحمه الله: " يعني بذلك جل ثناؤه: ﴿الْم تَر﴾ يا محمد، بقلبك - فتعلم - إلى الذين يزعمون أنهم صدقوا بما أنزل إليك من الكتاب، وإلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل من قلبك من الكتب، يريدون أن يتحاكموا في خصومتهم إلى الطاغوت، يعني إلى من يعظمونه ويصدرون عن قوله، ويرضون بحكمه من دون حكم الله، ﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾، يقول: وقد أمرهم الله أن يكذبوا بما جاءهم به الطاغوت الذي يتحاكون إليه، فتركوا أمر الله واتبعوا أمر الشيطان ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾، يعني: أن الشيطان يريد أن يصد هؤلاء المتحاكين إلى الطاغوت عن سبيل الحق والهدى، فيضلهم عنها ضلالا بعيدا، يعني: فيجور بهم عنها جورا شديدا"^(٢).

(١) سورة النساء، الآيتان: ٦٠-٦١.

(٢) الطبري، مصدر سابق: ٥٠٧/٨.

المبحث الثاني: ردود القرآن الكريم على المعارضين على أحكام الله تعالى:

بالرغم من كون اعتراضات هؤلاء الكفار على أحكام الله تعالى وشرعه من المسائل التي يظهر لكل ذي لب وفطرة سليمة بطلانها وسقوطها، إلا أن القرآن الكريم لم يسقها دون أن يتعرض لها بالرد والنسف: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾^(١).

وقد جاءت هذه الردود بشكل مجمل بحيث تشمل وتبطل كل اعتراض للكفار على شرع الله تعالى في كل زمان ومكان.

١- الحكم لله وحده:

إن الذي يستحق الحكم هو الله جل وعلا وحده دون سواه، فكما أنه هو الخالق وحده فهو الحاكم وحده، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢).

ومن الآيات التي أكدت هذا المعنى وأوضحته قوله تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَىٰ اللَّهِ﴾^(٣)، ولنستمع إلى العلامة القرآني الإمام الشنقيطي وهو يربط بين هذه الآية وغيرها من الآيات المفسرة لها: "ما دلت عليه هذه الآية الكريمة من أن ما اختلف فيه الناس من الأحكام فحكمه إلى الله وحده، لا إلى غيره - جاء موضحا في آيات كثيرة.

فالإشراك بالله في حكمه كالإشراك به في عبادته، قال في حكمه: ﴿وَلَا يُشْرِكْ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾^(٤)، وفي قراءة ابن عامر من السبعة: "ولا تشرك في حكمه أحدا" بصيغة النهي.

(١) سورة الأنفال، جزء من الآية: ٤٢.

(٢) سورة الأعراف: الآية: ٥٤.

(٣) سورة الشورى، الآية: ١٠.

(٤) سورة الكهف، الآية: ٢٦.

وقال في الإشراك به في عبادته: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ﴾

أحداً^(١)، فالأمران سواء كما ترى إيضاحه إن شاء الله.

وبذلك تعلم أن الحلال هو ما أحله الله، والحرام هو ما حرمه الله، والدين هو ما شرعه الله، فكل تشريع من غيره باطل، والعمل به بدل تشريع الله - عند من يعتقد أنه مثله أو خير منه - كفر بواح لا نزاع فيه.

وقد دل القرآن في آيات كثيرة على أنه لا حكم لغير الله، وأن اتباع تشريع غيره كفر به، فمن

الآيات الدالة على أن الحكم لله وحده قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾^(٢)،

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ

خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾^(٤)، وقوله: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٥)، وقوله

تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكْ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾^(٦)، وقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ

تُرْجَعُونَ﴾^(٧)، وقوله تعالى: ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(٨)، والآيات بمثل

بمثل ذلك كثيرة^(٩).

هذا وقد ذكر الله تعالى في سباق أو لحاق أغلب هذه الآيات صفات من يستحق أن يكون له

الحكم، وهي لا تنطبق إلا على واحد: وهو الحق جل وعلا تعظيم وتقديس في علاه.

(١) سورة الكهف، جزء من الآية ١١٠:.

(٢) سورة يوسف، جزء من الآية: ٤٠.

(٣) سورة يوسف، جزء من الآية: ٦٧.

(٤) سورة الأنعام، جزء من الآية: ٥٧.

(٥) سورة المائدة، جزء من الآية: ٤٤.

(٦) سورة الكهف، جزء من الآية: ٢٦.

(٧) سورة القصص، جزء من الآية: ٨٨.

(٨) سورة القصص، جزء من الآية: ٧٠.

(٩) الشنقيطي، مصدر سابق: ٤٧/٧-٤٨.

٢- شريعة الله تعالى وأحكامه كاملة وشاملة:

مما تضمنته اعتراضات الكفار على أحكام الله تعالى اتهامها بالنقص والتقصير وعدم تناولها لكل مطالب الحياة وحاجياتها؛ ولذلك فقد بين القرآن الكريم ما يدحض هذه الشبهة الباطلة في مواضع كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ^(١)، " أي: قل يا أيها الرسول ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا ﴾ أحاكم إليه، وأتقيد بأوامره ونواهيه، فإن غير الله محكوم عليه لا حاكم، وكل تدبير وحكم للمخلوق فإنه مشتمل على النقص والعيب والجور، وإنما الذي يجب أن يتخذ حاكما فهو الله وحده لا شريك له، الذي له الخلق والأمر.

﴿ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ﴾ أي: موضحا فيه الحلال والحرام والأحكام الشرعية وأصول الدين وفروعه، الذي لا بيان فوق بيانه ولا برهان أجلى من برهانه، ولا أحسن منه حكما ولا أقوم قيلا لأن أحكامه مشتملة على الحكمة والرحمة.

وأهل الكتب السابقة من اليهود والنصارى، يعترفون بذلك ﴿ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾ ولهذا، تواطأت الإخبارات ﴿ فَلَا ﴾ تشكن في ذلك ولا ﴿ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾.

ثم وصف تفصيلها فقال: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ أي: صدقا في الأخبار وعدلا في الأمر والنهي، فلا أصدق من أخبار الله التي أودعها هذا الكتاب العزيز، ولا أعدل من أوامره ونواهيه ﴿ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾ حيث حفظها وأحكمها بأعلى أنواع الصدق، وبغاية الحق، فلا يمكن تغييرها، ولا اقتراح أحسن منها.

(١) سورة الأنعام، الآيات: ١١٤-١١٥.

﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لسائر الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات، ﴿الْعَلِيمُ﴾ الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والماضي والمستقبل" (١).

كما امتن الله تعالى على نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بكمال هذه الشريعة التي بعثه بها؛ وذلك في أعظم يوم من أيام الله تعالى - وهو يوم عرفة والذي وافق يوم الجمعة في حجة الوداع - في سياق بيان بعض المحرمات التي استحلها المشركون، فقال سبحانه: ﴿الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَأَخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (٢)، قال ابن كثير رحمه الله: " هذه أكبر نعم الله عز وجل على هذه الأمة، حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه؛ ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف، كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ (٣)، أي: صدقا في الأخبار وعدلا في الأوامر والنواهي، فلما أكمل الدين لهم تمت النعمة عليهم؛ ولهذا قال تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، أي: فارضوه أنتم لأنفسكم، فإنه الدين الذي رضيه الله وأحبه وبعث به أفضل رسله الكرام، وأنزل به أشرف كتبه. " (٤)

(١) السعدي، مصدر سابق: ص: ٢٧٠.

(٢) سورة المائدة، جزء من الآية: ٣.

(٣) سورة الأنعام، جزء من الآية: ١١٥.

(٤) ابن كثير، تفسير، مصدر سابق: ٢٦/٣.

الفصل الرابع: الاعتراض على وقوع اليوم الآخر:

إن الإيمان باليوم الآخر من أصول الإيمان التي وقع فيها التراع بين الرسل والكفار من أقوامهم، حيث اعترضوا واستبعدوا أن يعث الله الأجساد بعد موتها، وبالتالي استنكروا ما يتلو ذلك من الحساب والجزاء والجنة والنار.

وقد ذكر القرآن الكريم اعتراف الكفار يوم القيامة أن الرسل أنذروهم بهذا اليوم، كما في قوله تعالى: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِن حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ ^(١)، فجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أخبروا بهذا اليوم العظيم وأنذروا به أقوامهم، وخاصة خاتمهم محمدا صلى الله عليه وسلم الذي بعث بين يدي الساعة؛ فلذلك كان بيان دعوته لهذا اليوم أكثر من دعوة غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

هذا وقد أخبر الله تعالى في الكريم أن هؤلاء المعترضين على وقوع البعث لا يستندون إلى شيء سوى الظنون والأوهام، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ ۗ إِنَّ نَظْنَ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيِقِينَ ﴿٣٢﴾ ^(٢)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَتَّهَمُ ظَنُّوْا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ ^(٣).

(١) سورة الزمر، الآية: ٧١.

(٢) سورة الجاثية، الآية: ٣٢.

(٣) سورة الجن، الآية: ٧.

المبحث الأول: اعتراضات الكفار على وقوع اليوم الآخر:

لقد ذكر القرآن الكريم عن كثير من الأمم الكافرة التكذيب والاعتراض على وقوع يوم البعث في معرض مجادلتهم لأنبيائهم، محتجين في ذلك بحجج واهية لا يقبلها عقل ولا فطرة سليمة:

١- الاعتراض على وقوع اليوم الآخر بعدم رجوع آبائهم الأولين:

هذه الشبهة التي اتكأ عليها المنكرون للبعث والنشور شبهة واهية جدا؛ ولذلك أوردنا القرآن الكريم في سياق التعجب والاستغراب، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيَّنَّتْ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتُّوُّا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾^(١)، قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى: " يقول تعالى ذكره: وإذا تتلى على هؤلاء المشركين المكذبين بالبعث آياتنا، بأن الله باعث خلقه من بعد مماتهم، فجامعهم يوم القيامة عنده للثواب والعقاب، ﴿ بَيَّنَّتْ ﴾ يعني: واضحات جليات، تنفي الشك عن قلب أهل التصديق بالله في ذلك ﴿ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتُّوُّوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ يقول جل ثناؤه: لم يكن لهم حجة على رسولنا الذي يتلو ذلك عليهم إلا قولهم له: ائتنا بآبائنا الذين قد هلكوا أحياء، وانشرهم لنا إن كنت صادقاً فيما تتلو علينا وتخبرنا، حتى نصدق بحقيقة ما تقول بأن الله باعثنا من بعد مماتنا، ومحيينا من بعد فنائنا"^(٢).

٢- الاعتراض على البعث باستحالة إعادة الأجساد بعد أن صارت تراباً:

هذه الشبهة هي الأكثر وروداً في اعتراض المنكرين للبعث، قال سبحانه: ﴿ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا

(١) سورة الجاثية، الآيتان: ٢٤-٢٥.

(٢) الطبري، مصدر سابق: ٨٠/٢٢.

هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾^(١)، " أي قالوا: أئذا متنا وصرنا ترابا قد بليت أجسامنا، وجردت عظامنا من لحومنا: إنا لمبعوثون من قبورنا أحياء كهيئتنا قبل الممات؟ إن هذا لن يكون.

ثم أكدوا هذا الإنكار بقولهم: ﴿لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ﴾ أي قالوا: لقد وعدنا هذا الوعد الذي تعدنا به، ووعد آباؤنا من قبل مثل هذا على أيدي قوم زعموا أنهم رسل الله، ثم لم يوجد ذلك مع طول العهد.

ثم زادوا في تأكيد الإنكار فقالوا: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾، أي ما هذا الذي تعدنا به من البعث بعد الممات إلا أكاذيب الأولين، قد تلقفناها منهم دون أن يكون لها ظل من الحقيقة، ولا نصيب من الصحة، ونحو الآية قوله حكاية عنهم: ﴿أءَاذَا كُنَّا عِظْمًا تَحْرَةً﴾ ﴿١١﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾^(٢)، وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ، قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾^(٣) (٤).

وقال جل في علاه: ﴿وَقَالُوا أءَاذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾^(٥)، قال السعدي رحمه الله: " أي: قال المكذبون بالبعث على وجه الاستبعاد: ﴿أءَاذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: بلينا وتمزقنا، وتفرقنا في المواضع التي لا تعلم، ﴿أءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي: لمبعوثون بعثا جديدا بزعمهم أن هذا من أبعاد الأشياء، وذلك لقياسهم قدرة الخالق بقدرهم." (٦)

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ٨١-٨٣.

(٢) سورة النازعات، الآيات: ١١-١٤.

(٣) سورة يس، الآيات: ٧٧-٧٩.

(٤) المراغي، مصدر سابق: ٤٦/١٨-٤٧.

(٥) سورة السجدة، الآية: ١٠.

(٦) السعدي، مصدر سابق، ص: ٦٥٤.

المبحث الثاني: ردود القرآن على اعتراضات المنكرين للبعث:

نظرا لأهمية هذا الموضوع وخطورته من جهة، وتفشيه في الأمم الكافرة من جهة أخرى، فقد اعتنى القرآن الكريم به عناية كبيرة تتجلى في كثرة الأدلة الواردة فيه وتنوع المسالك في عرض البراهين الدالة على وقوعه.

وعند تأمل الأدلة القرآنية الواردة في هذا الباب، يمكن تقسيمها - بحسب نوعيتها - إلى ثلاثة أقسام:

١- الأدلة النقلية:

والمقصود بهذا النوع من الأدلة: الأدلة التي ورد فيها إخبار الله جل وعلا بوقوع البعث، وهذا من أعظم الأدلة وأقواها؛ وذلك أنه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾^(١).

وقد وردت هذه الأدلة بأساليب متنوعة في كتاب الله تعالى:

- فمرة يخبر المولى جل وعلا بوقوعه مع التأكيد: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ

بِمُعْجِزِينَ﴾^(٢).

- وفي أخرى يقسم سبحانه على وقوعه: ﴿وَالَّذِينَ ذُرُّوا ۙ ﴿١﴾ فَالْحَمَلَتِ وَقْرًا ۙ ﴿٢﴾ فَأَلْجَرِيَتِ

يُسْرًا ۙ ﴿٣﴾ فَالْمَقْسَمَتِ أَمْرًا ۙ ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۙ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوْ قَعُ ۙ ﴿٦﴾﴾^(٣)، وأمر نبيه ﷺ أن يقسم على

وقوعها: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّيْنَ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾^(٤).

(١) سورة النساء، الآية: ٨٧.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٣٤.

(٣) سورة الداريات، الآيات: ١-٦.

(٤) سورة التغابن، الآية: ٧.

- ومرة يذم المكذبين بهذا البعث: ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ

بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ (١).

٢- الأدلة العقلية والحسية:

لقد سلك القرآن الكريم في الاستدلال على وقوع البعث والنشور بين الإخبار بها وسياق البراهين والحجج التي تقرها العقول السليمة والفطر السوية؛ وذلك حتى تقوم الحجة على الجميع.

وهذه الحجج العقلية والحسية المذكورة في القرآن الكريم متنوعة في أساليبها، سهلة في إدراكها وفهمها:

- فمنها: الاستدلال بالنشأة الأولى على النشأة الأخرى: فالإنسان يشاهد كل يوم حياة وبعثا

لخلق جديد، فأطفال يولدون وأفراخ تخرج من بيضها وحيوانات تضع صغارها.. وغيرها من مخلوقات الله في هذا في الحياة، كل ذلك شواهد قاطعة وبراهين ساطعة على وقوع البعث والنشور، فالقادر على

خلقهم من العدم قادر على خلقهم وإحيائهم بعد فنائهم، قال جل وعلا: ﴿ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَاتَ

لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾ (٢)، قال الطبري

رحمه الله: " يقول تعالى ذكره: ﴿ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ ﴾ الكافر الذي لا يصدق بالبعث بعد الموت أخرج حيا،

فأبعث بعد الممات وبعد البلاء والفناء إنكارا منه ذلك ، يقول الله تعالى ذكره ﴿ أَوْ لَا يَذْكُرُ

الْإِنْسَانُ ﴾ المتعجب من ذلك المنكر قدرة الله على إحيائه بعد فنائه، وإيجاده بعد عدمه في خلق نفسه، أن

الله خلقه من قبل مماته، فأنشأه بشرا سويا من غير شيء ﴿ وَلَمْ يَكُ ﴾ من قبل إنشائه إياه ﴿ شَيْئًا ﴾

فيعتبر بذلك ويعلم أن من أنشأه من غير شيء لا يعجز عن إحيائه بعد مماته، وإيجاده بعد فنائه. " (٣)

(١) سورة يونس، الآية: ٤٥.

(٢) سورة مريم، الآيتان: ٦٦-٦٧.

(٣) الطبري، مصدر سابق: ٢٢٧/١٨.

كما أخبر المولى سبحانه أن إعادة الخلق أهون عليه من ابتداء خلقهم: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١).

- ومنها كذلك: الاستدلال بإحياء الأرض بعد موتها وإخراج النبات على وقوع البعث

والنشور؛ وذلك من باب قياس النظير على نظيره، قال جل شأنه: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا

عَلَيْهَا الْمَاءَ أَهْرَتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ

وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾^(٢)،

ويقول سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِنَا أَنَّا نَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي

أَحْيَاهَا لَمُحْيٍ الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾^(٣).

- وكذلك الاستدلال بخلق ما هو أعظم من خلق الإنسان: فالقادر على خلق الأعظم لا يعجزه

أن يخلق ما هو دونه، قال جل شأنه: ﴿وَقَالُوا أَءِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفْتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ أَوَلَمْ

يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى

الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾﴾^(٤)، وقال سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ

يَعَىٰ بِخَلْقِهِنَّ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾^(٥).

(١) سورة الروم، الآية: ٢٧.

(٢) سورة الحج، الآيات: ٥-٧.

(٣) سورة فصلت، الآية: ٣٩.

(٤) سورة الإسراء، الآيتان: ٩٨-٩٩.

(٥) سورة الأحقاف، الآية: ٣٣.

٣- الأدلة المتعلقة بصفات الله عز وجل:

إن الشبهات التي أوردتها المعترضون على وقوع اليوم الآخر مبنية على اعتقاد فاسد وجهل عظيم بما يليق بالله سبحانه من صفات الكمال والجلال؛ حيث إنهم قاسوا صفات الخالق تعالى بصفات المخلوق.

ولهذا فقد ركز القرآن الكريم في إثبات البعث على بيان ما يليق بالرب جل وعلا من صفات الكمال ونعوت الجلال، وأنه متره عما نسبه إليه من كبرو البعث من النقائص والعيوب. والأدلة الواردة في هذا الباب تؤكد على أربع صفات من صفاته جل وعلا:

- كمال علم الله تعالى:

قال سبحانه بعدما ذكر إنكار الكفار للبعث: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا نَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ﴿٤﴾﴾^(١)، قال إمام المفسرين الطبري: "يقول تعالى ذكره: قد علمنا ما تأكل الأرض من أجسامهم بعد مماتهم، وعندنا كتاب بما تأكل الأرض وتفني من أجسامهم، ولهم كتاب مكتوب مع علمنا بذلك، حافظ لذلك كله، وسماه الله تعالى حفيظاً، لأنه لا يدرس ما كتب فيه، ولا يتغير ولا يتبدل."^(٢)

وقال جل شأنه: ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّهَا فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلِ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾^(٣)، وعلمه سبحانه علم كامل لم يسبق بجهل ولا يلحقه نسيان كما قال تعالى: ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿٤﴾﴾، وقال: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾﴾^(٥).

(١) سورة ق، الآيتان: ٣-٤.

(٢) الطبري، مصدر سابق: ٣٢٨/٢٢.

(٣) سورة الحجر، الآيتان: ٨٥-٨٦.

(٤) سورة طه، الآية: ٥٢.

(٥) سورة يونس، الآية: ٦١.

– كمال قدرة الله تعالى:

كما في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١)،
 وقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾^(٢) بَلَىٰ قَدَرِينَ عَلَىٰ أَنْ تُسَوَّىٰ بَنَانُهُ^(٣).
 فقدرة الله جل وعلا قدرة كاملة، فهو سبحانه لا يلحقه عجز ولا يمسه تعب، كما قال تعالى:
 ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَّهُ لِيُعْجِزَهُ، مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾^(٤)، وكما
 في قوله عز من قائل: ﴿أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾^(٥)، وقوله: ﴿وَلَقَدْ
 خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾^(٦)، " وهذا إخبار
 إخبار منه تعالى عن قدرته العظيمة، ومشيبته النافذة، التي أوجد بها أعظم المخلوقات ﴿السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها يوم الأحد، وآخرها يوم الجمعة، من غير تعب، ولا نصب،
 ولا لغوب، ولا إعياء، فالذي أوجدها -على كبرها وعظمتها- قادر على إحياء الموتى، من باب أولى
 وأحرى."^(٦)

– كمال حكمة الله تعالى:

فلكمال حكمته جل وعلا يتزه عن أن يخلق الخلق عبثا ويتركهم سدى لا يحاسبهم ولا
 يجازيهم على أعمالهم، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾^(١١٥)

(١) سورة الحج، الآية: ٦.

(٢) سورة القيامة، الآيتان: ٣-٤.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٤٤.

(٤) سورة ق، الآية: ١٥.

(٥) سورة ق، الآية: ٣٨.

(٦) السعدي، مصدر سابق: ص ٨٠٧.

فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَبِيرِ ﴿١١٦﴾^(١)، أي: أفضنتم أنكم مخلوقون عبثا بلا قصد ولا إرادة منكم ولا حكمة لنا، ﴿وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ أي: لا تعودون في الدار الآخرة، كما قال: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾^(٢)، يعني هملا، وقوله: ﴿فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ أي: تقدر أن يخلق شيئا عبثا، فإنه الملك الحق المتره عن ذلك.^(٣)

– كمال عدل الله تعالى:

في هذه الحياة ترى كثيرا من الظالمين فارقوها ولم يأخذوا العقاب الذي يستحقونه، وفي المقابل ترى كثيرا من المظلومين ماتوا ولم ينصفهم أحد ويأخذ لهم حقهم؛ ولذلك يأتي القرآن الكريم ليؤكد على البعث والحساب أمرا لازما يقتضيه عدل الله تعالى.

قال جل وعلا: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾^(٤)، قال الإمام السعدي: هذا وعيد شديد للظالمين، وتسلية للمظلومين، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ حيث أمهلهم وأدر عليهم الأرزاق، وتركهم يتقلبون في البلاد آمنين مطمئنين، فليس في هذا ما يدل على حسن حالهم، فإن الله يملي للظالم ويمهله ليزداد إثما، حتى إذا أخذه لم يفلته.

﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾^(٥)، والظلم - هاهنا - يشمل الظلم فيما بين العبد وربّه وظلمه لعباد الله، ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾

(١) سورة المؤمنون، الآيتان: ١١٥-١١٦.

(٢) سورة القيامة، الآية: ٣٦.

(٣) ابن كثير، تفسير، مصدر سابق: ٥/٥٠٠.

(٤) سورة إبراهيم، الآيتان: ٤٢-٤٣.

(٥) سورة هود، الآية: ١٠٢.

أي: لا تطرف من شدة ما ترى من الأهوال وما أزعجها من القلاقل، ﴿مُهْطِعِينَ﴾ أي: مسرعين إلى إجابة الداعي حين يدعوهم إلى الحضور بين يدي الله للحساب لا امتناع لهم ولا محيص ولا ملجأ.

﴿مَقْنَعِي رُءُوسِهِمْ﴾ أي: رافعيها قد غلت أيديهم إلى الأذقان، فارتفعت لذلك رءوسهم، ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ أي: أفئدتهم فارغة من قلوبهم قد صعدت إلى الحناجر لكنها مملوءة من كل هم وغم وحزن وقلق" (١).

وأخيرا أشير إلى أن أغلب الأدلة التي وردت في الرد على المعارضين على وقوع البعث قد جمعها المولى سبحانه في موضع واحد من كتابه الكريم في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ، قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ (٨٠) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨١) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٣) (٢).

(١) السعدي، مصدر سابق، ص: ٤٢٧.

(٢) سورة يس، الآيات: ٧٧-٨٣.

الفصل الخامس: الاعتراضات على أقدار الله تعالى:

التزاع والخصومة في القدر متجدر في الأمم الكافرة منذ القدم وإلى هذه الأمة، كما ظهرت الخصومة فيه عند بعض الطوائف المنتسبة إلى الإسلام، والمقصود في البحث ما يتعلق باعتراضات الكفار في هذا الباب.

المبحث الأول: التعريف بالقدر:

القدر في اللغة:

قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة:

"القاف والداد والراء أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته، فالقدر: مبلغ كل شيء. يقال: قدره كذا، أي مبلغه. وكذلك القدر. وقدرت الشيء أقدره وأقدره من التقدير، وقدرته أقدره. والقدر: قضاء الله تعالى الأشياء على مبالغها ونهاياتها التي أرادها لها، وهو القدر أيضا" (١).

القدر في الشرع:

يراد بالقدر في الشرع "أن الله تعالى علم مقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها ثم أوجد ما سبق في علمه أنه يوجد فكل محدث صادر عن علمه وقدرته وإرادته، هذا هو المعلوم من الدين بالبراهين القطعية" (٢).

والإيمان بالقدر أصل من أصول الإيمان الستة، وقد تواترت النصوص في إثباته لله عز وجل، كقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ (٣) وقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَرَ فَهَدَى ﴿٣﴾﴾، قال ابن كثير رحمه الله: "قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ أي: خلق الخليقة وسوى كل مخلوق في أحسن الهيئات.

(١) ابن فارس، مصدر سابق، ٥/٦٢.

(٢) ابن حجر، أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩هـ-): ١١٨/١.

(٣) سورة الفرقان، جزء من الآية: ٢.

وقوله: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ قال مجاهد: هدى الإنسان للشقاوة والسعادة، وهدى الأنعام لمراتها.

وهذه الآية كقوله تعالى إخبارا عن موسى أنه قال لفرعون: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾^(١) أي: قدر قدرا، وهدى الخلائق إليه، كما ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء"^(٢) (٣).

وللقدر مراتب وأركان، ولا يعتبر المرء مؤمنا حتى يؤمن بهذه المراتب، وقد حددها أهل العلم في "أربع مراتب:

– المرتبة الأولى: العلم: وذلك بأن تؤمن بأن الله تعالى علم كل شيء جملة وتفصيلا، فعلم ما كان وما يكون، فكل شيء معلوم لله، سواء كان دقيقا أم جليلا من أفعاله أو أفعال خلقه.

وأدلة ذلك في الكتاب كثير منها قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾^(٤)، فالأوراق التي تتساقط ميتة أي ورقة كانت صغيرة أو كبيرة في بر أو بحر، فإن الله تعالى يعلمها، والورقة التي تخلق يعلمها من باب أولي.

ولاحظ سعة علم الله عز وجل وإحاطته، فلو فرض أنه في ليلة مظلمة ليس فيها قمر وفيها سحب مترامك مطر وحة في قاع البحر المائج العميق، فهذه ظلمات متعددة: ظلمة الطبقة الأرضية وظلمة البحر وظلمة السحاب وظلمة الأمواج وظلمة الليل، فكل هذا داخل في قوله تعالى:

(١) سورة طه، جزء من الآية: ٥٠.

(٢) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب: حجج آدم وموسى عليهما السلام، الحديث رقم: ٢٦٥٣.

(٣) ابن كثير، تفسير، مصدر سابق: ٣٧٩/٨.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

﴿وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ﴾ ، ثم جاء العموم المطلق: ﴿وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ ، ولا كتابة إلا بعد علم، ففي هذه الآيات إثبات العلم وإثبات الكتابة.

ومنها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾^(١)، ففي الآية أيضا إثبات العلم وإثبات الكتابة.

المرتبة الثانية: الكتابة ، وقد دلت عليها الآيتان السابقتان.

المرتبة الثالثة: المشيئة ، وهي عامة، ما من شيء في السماوات والأرض إلا وهو كائن بإرادة الله ومشيئته ، فلا يكون في ملكه ما لا يريد أبدا ، سواء كان ذلك فيما يفعله بنفسه أو يفعله المخلوق، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾^(٤).

المرتبة الرابعة: الخلق: فما من شيء في السماوات ولا في الأرض إلا الله خالقه ومالكة ومدبره وذو سلطانه، قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٥)، وهذا العموم لا مخصص له، حتى فعل المخلوق مخلوق لله، لأن فعل المخلوق من صفاته، وهو صفاته مخلوقان، ولأن فعله ناتج عن أمرين: إرادة جازمة، قدرة تامة، والله هو الذي خلق في الإنسان الإرادة الجازمة والقدرة التامة.^(٦)

(١) سورة الحج، الآية: ٧٠.

(٢) سورة يس، الآية: ٨٢.

(٣) سورة الأنعام، جزء من الآية: ١١٢.

(٤) سورة البقرة، جزء من الآية: ٢٥٣.

(٥) سورة الزمر، جزء من الآية: ٦٢.

(٦) العثيمين، محمد بن صالح، القول المفيد على كتاب التوحيد، (الرياض، دار العاصمة): ١٦٤/٣-١٦٦.

المبحث الثاني: اعتراضات الكفار على أقدار الله تعالى

جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: " جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله صلى الله عليه وسلم في القدر، فتزلت: ﴿يَوْمَ يُسْجَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُقُوا مَسَّ سَقَرٍ﴾ (٤٨) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ (١) (٢)، ففي سبب نزول هذه الآيات إثبات محاصمة المشركين لرسول الله صلى الله عليه وسلم في القدر، وقد ذكر الله جل وعلا في القرآن الكريم هذه المحاصمة والمنازعة في القدر عن كثير من طوائف الكفار، وإن تنوعت هذه المحاصمة منهم إلا أنها تعتبر اعتراضا على الله تعالى في ربوبيته تعالى أو في شرعه: فهم إما معترضون على القدر وإما معترضون بالقدر، قال ابن القيم رحمه الله: "والمخاصمون في القدر نوعان:

- أحدهما من يبطل أمر الله ونهيه بقضائه وقدره كالذين قالوا: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا

ءَابَاؤُنَا﴾ (٣).

- والثاني من ينكر قضاءه وقدره السابق.

والطائفتان خصماء الله. (٤)

وقد يجتمع النوعان في شخص واحد فيعترض على الأمر بالقدر ويعترض على القدر بالإنكار. وإمام هؤلاء جميعا هو إبليس اللعين الذي جمع بين النقيضين؛ حيث اعترض بالقدر في مخالفة أمر الله تعالى، ثم اعترض على قدرة الله تعالى وذلك بعدما أخرج الله من الجنة مدحورا وأحل عليه اللعنة إلى يوم الدين قال الله تعالى عنه: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٥)،

(١) سورة القمر، الآيتان: ٤٨-٤٩.

(٢) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب: كل شيء بقدر، الحديث رقم: ٢٦٥٦.

(٣) سورة الأنعام، جزء من الآية: ١٤٨.

(٤) ابن قيم الجوزية، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، تحقيق: مصطفى أبو النصر الشليبي، ط: ١، (جدة، مكتبة

مكتبة السوادبي، ١٤١٢ هـ، ١٩٩١ م)، ص: ٨٧-٨٨.

(٥) سورة الحجر، الآية: ٣٩.

"فأقر بأن الله أغواه ثم جعل ذلك عنده داعيا يقتضي أن يغوي هو ذرية آدم، وإبليس هو أول من عادى الله وطغى في خلقه وأمره وعارض النص بالقياس، ولهذا يقول بعض السلف: أول من قاس إبليس، فإن الله أمره بالسجود لآدم فاعترض على هذا الأمر بأبي خير منه وامتنع من السجود، فهو أول من عادى الله وهو الجاهل الظالم الجاهل بما في أمر الله من الحكمة الظالم باستكباره الذي جمع فيه بين بطل الحق وغمط الناس.

ثم قوله لربه " فبما أغويتني لأفعلن " جعل فعل الله الذي هو إغواؤه له حجة له وداعيا إلى أن يغوي ابن آدم، وهذا طعن منه في فعل الله وأمره، وزعم منه أنه قبيح فأنا أفعل القبيح أيضا، فقاس نفسه على ربه ومثل نفسه بربه. " (١)

ولتفصيل الاعتراضات التي أوردها القرآن الكريم للكفار على القدر يمكن تقسيمها حسب نوعية الاعتراض إلى ما يلي:

١- الاعتراض على أقدار الله تعالى قدحا في علمه أو مشيئته أو خلقه:

وهذا النوع من الاعتراض ذكره الله جل وعلا عن طائفتين من الكفار:

- المشركون العرب: حيث كان من رزق منهم بالبنات يعترض على مشيئة الله تعالى وخلقته، وقد ذكر الله تعالى ذلك عنهم في معرض توبيخهم على افتراءهم عليه سبحانه، حيث جعلوا له ما لا ينبغي له من البنات، قال تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ۗ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۗ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ ۗ أَمْرٌ يَدُسُّ فِيهِ الرِّبَابُ ۗ وَالْآسَاءُ مَا يَحْكُمُونَ ۗ ۝٥٩﴾ (٢)، قال الإمام الطبري رحمه الله: " يقول تعالى ذكره: ومن جهل هؤلاء المشركين وخبث فعلهم ، وقبح فريتهم على ربهم، أنهم يجعلون لمن خلقهم ودبرهم وأنعم عليهم، فاستوجب بنعمه عليهم الشكر، واستحق عليهم الحمد: البنات ، ولا ينبغي أن يكون لله ولد ذكر ولا أنثى سبحانه، نزه جل جلاله بذلك نفسه عما أضافوا إليه ونسبوه من البنات، فلم يرضوا

(١) ابن تيمية، مصدر سابق، ١٦/٢٤٠.

(٢) سورة النحل، الآيات: ٥٧-٥٩.

بجملهم إذ أضافوا إليه ما لا ينبغي إضافته إليه ، ولا ينبغي أن يكون له من الولد أن يضيفوا إليه ما يشتهونه لأنفسهم ويجبونه لها، ولكنهم أضافوا إليه ما يكرهونه لأنفسهم ولا يرضونه لها من البنات ما يقتلونها إذا كانت لهم." (١)

" وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا ۖ وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَي: كئيبا من الهم، ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ساكت من شدة ما هو فيه من الحزن، ﴿يَتَوَرَّى مِنَ الْقَوْمِ﴾ أَي: يكره أن يراه الناس ﴿مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيْمِسُّهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ أَي: إن أبقاها أبقاها مهانة لا يورثها، ولا يعتني بها، ويفضل أولاده الذكور عليها، ﴿أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ أَي: يئدها: وهو: أن يدفنها فيه حية، كما كانوا يصنعون في الجاهلية، أفمن يكرهونه هذه الكراهة ويأنفون لأنفسهم عنه يجعلونه لله ؟ ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ أَي: بئس ما قالوا، وبئس ما قسموا، وبئس ما نسبوا إليه، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ " (٢)(٣).

- المنافقون: هذه الطائفة الخبيثة التي سبق الحديث عن بعض اعتراضاتها، سجل القرآن الكريم عليهم في هذا الباب ما يشهد على كفرهم وفساد اعتقادهم، وذلك في سياق أحداث غزوة أحد، فقال سبحانه: ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ ثم بعد ذلك يأتي تحذير الله عز وجل المؤمنين من مسلك هؤلاء المنافقين فقال: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرَىٰ لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكِ

(١) ابن جرير، مصدر سابق: ٢٢٧/١٧.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ١٧.

(٣) ابن كثير، تفسير، مصدر سابق، ٥٧٨/٤.

حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُمِئُّ وَيُمِئُّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾^(١)، قال الإمام السعدي رحمه الله: " ينهى تعالى عباده المؤمنين أن يشابهوا الكافرين، الذين لا يؤمنون برهم، ولا بقضائه وقدره، من المنافقين وغيرهم، ينهاهم عن مشابعتهم في كل شيء، وفي هذا الأمر الخاص وهو أنهم يقولون لإخوانهم في الدين أو في النسب: ﴿إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: سافروا للتجارة ﴿أَوْ كَانُوا غُرَى﴾ أي: غزاة، ثم جرى عليهم قتل أو موت، يعارضون القدر ويقولون: ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ وهذا كذب منهم، فقد قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾، ولكن هذا التكذيب لم يفدهم، إلا أن الله يجعل هذا القول، وهذه العقيدة حسرة في قلوبهم، فتزداد مصيبتهم، وأما المؤمنون بالله فإنهم يعلمون أن ذلك بقدر الله، فيؤمنون ويسلمون، فيهدي الله قلوبهم ويثبتها، ويخفف بذلك عنهم المصيبة، قال الله ردا عليهم: ﴿وَاللَّهُ يُمِئُّ وَيُمِئُّ﴾ أي: هو المنفرد بذلك، فلا يغني حذر عن قدر، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم بأعمالكم وتكذيبكم." ^(٢)

٢- الاعتراض بالقدر على مخالفة شرع الله تعالى:

وهذا ديدن المشركين في كل زمان، كما أخبر المولى جل وعلا: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾ ^(٣)، " أي سيقول هؤلاء المشركون: لو شاء الله تعالى ألا نشرك به من اتخذنا له من الأولياء والشفعاء من الملائكة والبشر، وألا نعظم ما عظمننا من تماثيلهم وصورهم أو قبورهم وسائر ما يذكر بهم - وألا يشرك آباؤنا من قبلنا كذلك لما أشركوا ولا أشركنا - ولو شاء ألا نحرم شيئا مما حرمننا من الحرث والأنعام وغيرهما لما حرمننا، أي ولكنه شاء أن نشرك هؤلاء الأولياء والشفعاء به وهم له يقربوننا إليه زلفى، وشاء أن نحرم ما حرمننا من البحائر والسوائب وغيرها فحرمانها، فإتياننا ما ذكر دليل على

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٦.

(٢) السعدي، مصدر سابق، ص: ١٥٣-١٥٤.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٤٨.

مشيئة الله تعالى له ، بل على رضاه وأمره به أيضا، كما حكى عنهم في آية أخرى بقوله: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢٨) وقيل: أرادوا أن مشيئته ملزمة ومجبرة، فهم غير مختارين في ذلك، ولما وقع هذا القول منهم بالفعل حكاه تعالى عنهم بقوله في سورة النحل: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمًا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ (٣٥) وفي معناه قوله تعالى في سورة الزخرف: ﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ (٣٤).

كما سجل القرآن الكريم على هؤلاء المشركين الاعتراض بالقدر على الأمر بالإنفاق على الفقراء، فقال: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (٤٧) أي: وإذا أمروا بالإنفاق مما رزقهم الله على الفقراء والمحويج من المسلمين ﴿ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أي: عن الذين آمنوا من الفقراء، أي: قالوا لمن أمرهم من المؤمنين بالإنفاق محاجين لهم فيما أمرهم به: ﴿ أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ ﴾ أي: وهؤلاء الذين أمرتمونا بالإنفاق عليهم، لو شاء الله لأغناهم ولأطعمهم من رزقه، فنحن نوافق مشيئة الله فيهم، ﴿ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ أي: في أمركم لنا بذلك. (٦)

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٨.

(٢) سورة النحل، الآية: ٣٥.

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٢٠.

(٤) رضا محمد رشيد، مصدر سابق: ١٥٥/٨.

(٥) سورة يس، الآية: ٤٧.

(٦) ابن كثير، تفسير، مصدر سابق: ٥٨٠/٦.

وهؤلاء المشركون ليس قصدهم حينما احتجوا بالقدر هو الإيمان به وأنه من فعل الله تعالى كما هو شأن المؤمنين، فهم "لم يذكروا ما ذكروه إثباتا لقدره وربوبيته ووحدانيته وافتقارا إليه وتوكلا عليه واستعانة به ولو قالوا كذلك لكانوا مصيبين وإنما قالوه معارضين به لشرعه ودافعين به لأمره فعارضوا شرعه وأمره ودفعوه بقضائه وقدره ووافقهم على ذلك كل من عارض الأمر ودفعه بالقدر وأيضا فإنهم احتجوا بمشيئة العامة وقدره على محبته لما شاءه ورضاه به وإذنه فيه فجمعوا بين أنواع من الضلال معارضة الأمر بالقدر ودفعه به والإخبار عن الله أنه يجب ذلك منهم ويرضاه حيث شاءه وقضاه وإن لهم الحجة على الرسل بالقضاء والقدر." (١)

(١) ابن قيم، شفال العليل، مصدر سابق، ص: ٥١-٥٢.

المبحث الثالث: ردود القرآن على اعتراضات الكفار في باب القدر:

إن كل الشبه التي أوردها الكفار في باب القدر شبه سخيطة وواهية جدا، وتكفي حكايتها عن ردها، ومع ذلك فقد تناولها القرآن الكريم بالرد والدمغ حتى لا يبقى لهؤلاء المعترضين أدنى حجة يلبسون بها على الناس.

١- كل شيء بتقدير الله ومشئته:

إن مشيئة الله تبارك وتعالى مشيئة نافذة، فما شاء الله فهو كائن بقدرته لا محالة، فلا حركة ولا سكون في السموات والأرض إلا بمشيئته، ولم يخلق شيئا إلا بمشيئته لأنه لا مكره له سبحانه، كما قال جل وعلا: ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾^(١)، وكما قال أيضا: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾^(٢).

وقدرة الله تعالى شاملة، فهو سبحانه على كل شيء قدير، وما لم يشأ الله كونه لا يكون ليس لعدم قدرته عليه ولكن لعدم مشيئته له، كما قال المولى جل وعلا: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾^(٣)، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾^(٥).

ويشمل ذلك أعمال العباد وأفعالهم كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾^(٦)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُهُ وَمَا يُعْمَرُ مِنْ مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ﴾^(٧).

(١) سورة إبراهيم، جزء من الآية: ٢٧.

(٢) سورة هود، جزء من الآية: ١٠٧.

(٣) سورة البقرة، جزء من الآية: ٢٥٣.

(٤) سورة الأنعام، جزء من الآية: ٣٥.

(٥) سورة الفرقان، جزء من الآية: ٤٥.

(٦) سورة الصافات، الآية: ٩٦.

(٧) سورة فاطر، الآية: ١١.

وما سبق تقريره من مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة لا تتعارض مع تكليف المولى جل وعلا للعباد، ولذلك فإنه " يجب الإيمان بالأمر الشرعي ، وأن الله تعالى كلف العباد ، فأمرهم بطاعته وطاعة رسله ، ونهاهم عن معصيته، ولا منافاة أصلاً بين ما ثبت من عموم مشيئته سبحانه لجميع الأشياء وبين تكليفه العباد بما شاء من أمر ونهي ؛ فإن تلك المشيئة لا تنافي حرية العبد واختياره للفعل ، ولهذا جمع الله بين المشيئتين بقوله: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ۖ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾^(١) كما أنه لا تلازم بين تلك المشيئة وبين الأمر الشرعي المتعلق بما يحبه الله ويرضاه ، فقد يشاء الله ما لا يحبه ، ويجب ما لا يشاء كونه:

فالأول: كمشيئته وجود إبليس وجنوده.

والثاني: كمحبة إيمان الكفار ، وطاعات الفجار ، وعدل الظالمين ، وتوبة الفاسقين ، ولو شاء ذلك لوجد كله ؛ فإنه ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن.^(٢)

٢- الله الحجة البالغة على عباده:

بعد ما ذكر المولى جل وعلا شبهة المشركين في الاحتجاج بالقدر على ما قارفوه من الشرك والمنكرات في قوله: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾، وقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تُخْرِصُونَ ۗ﴾^(٣) قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ^(٤) ، فأخبر المولى جل وعلا أن حجته بالغة على عباده وأن حجة الكفار داحضة فاسدة كاسدة وذلك " من عدة وجوه:

- منها: ما ذكر الله من أنها لو كانت صحيحة، لم تحل بهم العقوبة.

(١) سورة التكويد، الآيتان: ٢٨-٢٩.

(٢) هراس، محمد خليل، شرح العقيدة الواسطية، تحقيق علوي بن عبد القادر السقاف، ط٣، (الرياض، دار الهجرة، ١٤١٥هـ—، ١٩٩٥م)، ص: ٢٢٦.

(٣) سورة الأنعام، الآيتان: ١٤٨-١٤٩.

- ومنها: أن الحجة، لا بد أن تكون حجة مستندة إلى العلم والبرهان، فأما إذا كانت مستندة إلى مجرد الظن والخرص، الذي لا يغني من الحق شيئا، فإنها باطلة، ولهذا قال: ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾ فلو كان لهم علم - وهم خصوم ألداء - لأخرجوه، فلما لم يخرجوه علم أنه لا علم عندهم. ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ ومن بنى حججه على الخرص والظن، فهو مبطل خاسر، فكيف إذا بناها على البغي والعناد والشر والفساد؟

- ومنها: أن الحجة لله البالغة، التي لم تبق لأحد عذرا، التي اتفقت عليها الأنبياء والمرسلون، والكتب الإلهية، والآثار النبوية، والعقول الصحيحة، والفطر المستقيمة، والأخلاق القويمة، فعلم بذلك أن كل ما خالف هذه الأدلة القاطعة باطل، لأن نقيض الحق، لا يكون إلا باطلا.

- ومنها: أن الله تعالى أعطى كل مخلوق قدرة، وإرادة، يتمكن بها من فعل ما كلف به، فلا أوجب الله على أحد ما لا يقدر على فعله، ولا حرم على أحد ما لا يتمكن من تركه، فالاحتجاج بعد هذا بالقضاء والقدر، ظلم محض وعناد صرف.

- ومنها: أن الله تعالى لم يجبر العباد على أفعالهم، بل جعل أفعالهم تبعا لاختيارهم، فإن شاءوا فعلوا، وإن شاءوا كفوا، وهذا أمر مشاهد لا ينكره إلا من كابر، وأنكر المحسوسات، فإن كل أحد يفرق بين الحركة الاختيارية والحركة القسرية، وإن كان الجميع داخلا في مشيئة الله، ومندرجا تحت إرادته.

- ومنها: أن المحتجين على المعاصي بالقضاء والقدر يتناقضون في ذلك، فإنهم لا يمكنهم أن يتردوا ذلك، بل لو أساء إليهم مسيء بضرب أو أخذ مال أو نحو ذلك، واحتج بالقضاء والقدر لما قبلوا منه هذا الاحتجاج، ولغضبوا من ذلك أشد الغضب، فيا عجباً كيف يحتجون به على معاصي الله ومساخطه، ولا يرضون من أحد أن يحتج به في مقابلة مساخطهم؟

- ومنها: أن احتجاجهم بالقضاء والقدر ليس مقصودا، ويعلمون أنه ليس بحجة، وإنما المقصود منه دفع الحق، ويرون أن الحق بمتزلة الصائل، فهم يدفعونه بكل ما يخطر ببالهم من الكلام وإن كانوا يعتقدونه خطأ. (١)

(١) السعدي، مصدر سابق، ص: ٢٧٨-٢٧٩.

الخاتمة

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت، اللهم اغفر الزلات وأقل العثرات واجعل هذا العمل المتواضع خالصا لوجهك الكريم.

في ختام هذا البحث أوجز أهم النتائج التي ظهرت لي من خلال تناول أطراف هذا الموضوع حسب ما يسر الله تعالى، وأتبعها ببعض التوصيات المتعلقة بمجال البحث:

١- نتائج البحث:

- من خلال تتبع واستقراء الآيات المتعلقة بموضوع البحث، تبين أن ظاهرة اعتراض الكفار قد حظيت بعناية كبيرة في كتاب الله تعالى؛ بحيث إن الآيات المتعلقة بها قد تصل إلى ١٧٠ موضعا، غالبيتها من السور المكية.

- وجدت في أثناء حديث القرآن الكريم عن اعتراضات الكفار إirازا للأسباب والدوافع لهذا الموقف الشنيع، وفي هذا الربط بين الفعل وسببه دعوة إلى أخذ العبرة والاحتياط والحذر من سلوك هذا السبيل الذي يفضي إلى الهلاك في الدنيا والآخرة.

- بالنسبة للطوائف التي وقع منها الاعتراض في القرآن الكريم تبين أنها ثلاث طوائف: الملاحدة المنكرون لربوبيته تعالى، والمشركون ثم المنافقون، وأما الأقوام الذين وقع منهم الاعتراض فهم: قوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم إبراهيم، والمؤتفكات: قوم لوط، ومدين، وأصحاب القرية، وأهل الكتاب، والعرب، وإمام هؤلاء جميعا هو إبليس اللعين الذي ورثهم هذه التركة المشئومة.

- مما يلاحظ في تتبع اعتراضات هؤلاء الأقوام أن اليهود قد أخذوا بالنصيب الأكبر منها؛ وذلك بسبب تعنتهم وعنادهم وتجرائهم على الله تبارك وتعالى.

- بالنظر إلى اعتراضات الكفار في القرآن الكريم يلاحظ أنها لا تقتصر على المسائل المتعلقة بالاعتقاد وأصول الإيمان، بل تشمل المسائل المتعلقة بالأحكام العملية: كالاقتراض على تحريم الربا وتحريم الميتة.

- من النتائج المهمة التي ظهرت من خلال هذا البحث أن القرآن الكريم ما ترك شبهة أوردتها الكفار في اعتراضاتهم - مهما كانت واهية وسخيفة - إلا أتى عليها بالرد والنقض؛ وذلك بيانا للحق ولكي لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

٢- التوصيات:

- زيادة الاهتمام بكتاب الله تعالى تدبرا وتفهما، وتشجيع البحوث والدراسات المتعلقة بهذا الكتاب العظيم في جميع المجالات، فلا تزال كنوز وذخائر هذا المصدر الكريم في حاجة إلى من يبرزها، كيف لا وهو الكتاب الذي لا يمل سماعه ولا تنقضي عجائبه ولا تنحصر درره وفوائده.

- في العصر الحديث يعيش الإسلام حربا ضروسا على مقدساته ورموزه - خاصة مع ما تشهده الأمة الإسلامية من يقظة ورجوع إلى دينها وعقيدها - متمثلة في حملة شرسة من الاعتراضات والشبه على السنة وأقلام كثير من الملاحدة والمستشرقين، وبناء على هذا الواقع فإنه يتوجب على جميع الأمة التصدي لهذه الحملة الشرسة، ويتأكد ذلك على العلماء وطلبة العلم بما آتاهم الله من العلم والحجة التي تعري هذه الشبهات التي قد تنطلي على عموم المسلمين.

- الحرص على تحصين المسلمين ضد حملات الإلحاد والزندقة المتمثلة في إيراد الشبهات والتشكيك في ثوابت الدين الإسلامي والظعن في رموزه، وذلك بترسيخ العقيدة الصحيحة في نفوس الأجيال الناشئة، وربطهم بكتاب الله تعالى فهو السد المنيع ضد هذا التيار الجارف.

وختاما، فإني أدعو الله تعالى أن يجعلني من أهل القرآن وخاصته وممن يتشرف بخدمة هذا الكتاب العظيم، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا ما تيسر إيراده وتهيأ إعداده بعون المولى جل وعلا، فما كان فيه من صواب فمنه سبحانه وحده، وما كان فيه من زلل أو خطأ فمني ومن الشيطان، وأستغفر الله من كل ذنب إنه هو الغفور الرحيم، وصلى الله على نبيه محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفهارس

أ - فهرس الآيات القرآنية

ب - فهرس الأحاديث

ج - فهرس الآثار

د - فهرس الأبيات الشعرية

هـ - فهرس المصادر

و - فهرس الموضوعات

أ - فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقمها	رأس الآية
سورة البقرة		
٧٧	١٤-١١	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾
٨٦	٢١	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾
٩٦	٢٢-٢١	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾
	٥٥	﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾
٦٩	٥٩-٥٨	﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا ﴾
	٦٧	﴿ قَالُوا أَنْتَبِذْنَا هَهُنَا قَالِ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾
٧٠	٧١-٦٧	﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بقرَةً ﴾
	٨٧	﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ ﴾
٩٢	١١٨	﴿ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهتْ قُلُوبُهُمْ ﴾
٥٢	١٦٥	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾
٥٢	٢١٣	﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾
١٥	٢٢٤	﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ ﴾
٧١	٢٤٩-٢٤٧	﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلَكًا ﴾
١٣٨-١٣١	٢٥٣	﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾
٩٧	٢٥٥	﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾
٤٤	٢٥٨	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبراهيمَ فِي رَبِّهِ ﴾
١١٣	٢٧٥	﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَتُومُونَ ﴾
سورة آل عمران		
٦	١٠٢	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾
٧٩	١٥٦-١٥٤	﴿ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾
١٣٥	١٥٦	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا ﴾
سورة النساء		
٦	١	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾
٦٧	٤٦	﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾
١١٤-٧٧	٦١-٦٠	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَرْعَمُونَ أَنْهَمُ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ ﴾
١٠٩	٦٥	﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ ﴾
٧٩	٧٨	﴿ وَإِنْ تَصِبْتُمْ حَسَنَةً يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾

اعتراضات الكفار في القرآن الكريم

الصفحة	رقمها	رأس الآية
١٢٢	٨٧	﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾
٩٩	١٥١-١٥٠	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴾
٦٩	١٥٣	﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ ﴾
٢١	١٧٢	﴿ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِيهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيَّ ﴾
سورة المائدة		
١١٨	٣	﴿ الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ ﴾
	٢٦-٢١	﴿ يَتَقَوَّمُوا أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمَقْدَسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾
٤٥	٣٢	﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾
١١٦	٤٤	﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾
٦٧	٦٤	﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ عَلَتْ أَيْدِيَهُمْ ﴾
سورة الأنعام		
٨٧	١	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾
٣٤	٧	﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي فَرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ ﴾
١٠٦	٩-٨	﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ﴾
٧٣	٢٥	﴿ وَإِنْ يَرَوْا كَلْعًا أَبَدًا لَا يُؤْمِنُوا بِهَا ﴾
١٣٨	٣٥	﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ ﴾
١٠٤	٥٢	﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ ﴾
٧٥	٥٣-٥٢	﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾
١١٦	٥٧	﴿ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَفْضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴾
٦١	٨٣-٧٤	﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَارِءَ ﴾
٩٩	٩١	﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ ﴾
٣٤	٩٧-٩٦	﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾
٣٤	١٠٩	﴿ وَمَا يَشْعُرْكُمْ أَنَّهُآ إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾
٩٤	١٠٢-١٠١	﴿ بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَوْ تَكَّنَ لَهُ صَدِجَةٌ ﴾
٣٤	١١١	﴿ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكِيكَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتُونَ ﴾
١٣١-٧٢	١١٢	﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ﴾
٣٨	١١٧-١١٢	﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ﴾
١١٧	١١٥-١١٤	﴿ أَفَغَبِرَ اللَّهُ أَجْتِنِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُنْصَلًا ﴾
١١٨	١١٥	﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾
١١٣-٣٨	١٢١	﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴾
١٠٥	١٢٤	﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾

اعتراضات الكفار في القرآن الكريم

الصفحة	رقمها	رأس الآية
	١٣٤	﴿ إِنَّ مَاتُوا كَمَاتٍ وَمَا أُنشِرُوا بِمُعْجِزَةٍ ﴾
١٣٥-١٣٢	١٤٨	﴿ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاءُنَا ﴾
١٣٩	١٤٩-١٤٨	﴿ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا ﴾
سورة الأعراف		
١٣٦	٢٨	﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَجْسَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا ﴾
٣٠	٣٧	﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾
١١٥	٥٤	﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾
٥١	٥٩	﴿ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ﴾
٥٦	٧٢-٦٥	﴿ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ﴾
١١١	٧٨-٧٧	﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ﴾
٦٢	٨٤-٨٠	﴿ وَلَوْطَأُ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ النَّحِيشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ ﴾
٦٤	٩١-٨٨	﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ بِشُعَيْبٍ ﴾
٦٧	١٥٦	﴿ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾
١١٢	١٦٣	﴿ وَسَأَلْتَهُم عَنِ الْفَرِيضَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ ﴾
٨٤	١٧٢	﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ﴾
٩٦	١٩٨-١٩١	﴿ أَيَشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾
سورة الأنفال		
٧٣	٣١	﴿ وَإِذَا نُتِلَّىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا ﴾
١١٥	٤٢	﴿ لِيَهْلِكَ مَن هَلَكَ عَن بَيْنِنَا وَيَحْيَىٰ مَن حَيَّ عَن بَيْنِنَا ﴾
سورة التوبة		
١٧	٦٣	﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ ﴾
٢٩	٦٦-٦٤	﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقِينَ أَن نُّنَزِّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةً ﴾
١١١-٧٨	٨١	﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﴾
سورة يونس		
٨٣	١٨	﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ﴾
١٢٣	٤٥	﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لُّوا بِلِبَاسٍ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ ﴾
١٢٥	٦١	﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾
١٠٧	٧٢	﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُم مِّنْ أَجْرٍ ﴾
١٠٣	٧٨	﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾
سورة هود		
٥٤	٢٧-٢٥	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾
١٠٨-١٠٣	٢٧	﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ ﴾

اعتراضات الكفار في القرآن الكريم

الصفحة	رقمها	رأس الآية
٢٤	٢٩	﴿وَيَقُولُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَآ إِنِ اجْرَىٰ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾
٦٤	٩٢-٨٧	﴿قَالُوا يَشْعَبُ أَصْلُوكَ تَأْمُرُكَ﴾
١٢٧	١٠٢	﴿وَكَذَلِكَ أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهِيَ ظَلِيمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾
١٣٨	١٠٧	﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾
سورة يوسف		
١١٦	٤٠	﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾
١١٦	٦٧	﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾
سورة الرعد		
٩٠	٢	﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾
سورة إبراهيم		
١٠٦	١١	﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾
١٣٨	٢٧	﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾
٨٨	٣٤-٣٢	﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾
١٢٧	٤٣-٤٢	﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾
سورة الحجر		
١٠٦	٨	﴿مَا نُنزِّلُ الْمَتَابِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ﴾
٣٤	١٥-١٤	﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾
١٣٢	٣٩	﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخُو يَتِيمٍ لَّازِيئِينَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا غَوِيَّ لَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾
٦٢	٧٠-٦٧	﴿وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾
٥٨	٨٤-٨٣	﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾
١٢٥	٨٦-٨٥	﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّمٌ فَاصِّحُ الصَّفْحِ الْجَمِيلِ﴾
٧٢	٩٤	﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾
سورة النحل		
١٣٦	٣٥	﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ﴾
٩٤-٥١	٣٦	﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾
١٣٣	٥٩-٥٧	﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾
٧٣	١٠٣	﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾
٢٦	١٢٥	﴿وَحَدِّثْ لَهُم بِآيَاتِنَا هِيَ أَحْسَنُ﴾
سورة الإسراء		
٧٤-٣٣	٩٣-٩٠	﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِرَكَ لَكِ حَقٌّ نَّجْعُرُ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾

اعتراضات الكفار في القرآن الكريم

الصفحة	رقمها	رأس الآية
١٠٧	٩٥	﴿ قُلْ لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَكَةٌ يَمْشُونَ ﴾
١٢٤	٩٩-٩٨	﴿ وَقَالُوا آءِذَا كُنَّا عِظْمًا وَّرُفَاتًا أَوْنَا لِمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾
٨٢	١٠٢	﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَآ أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ بِصَٰبِرٍ ﴾
سورة الكهف		
١١٦-١١٥	٢٦	﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾
٣٦	٥٠	﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾
١١٦	١١٠	﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾
سورة مريم		
٩٦	٤٢	﴿ يَتَّابِتْ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴾
١٢٣	٦٧-٦٦	﴿ وَيَقُولُ الْإِنسَانُ آءِذَا مَاتَ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴾
سورة طه		
١٣٠	٥	﴿ رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَى ﴾
٨٨-٤٧	٥٢-٤٩	﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يٰمُوسَى ﴾
١٢٥	٥٢	﴿ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾
١٦	١٢٥-١٢٣	﴿ قَالَ أَهَيْطًا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾
سورة الأنبياء		
٧٤	٥	﴿ بَلْ قَالُوا أَضْعَفْتُ أَوْلِيًّا بَلْ أَفْتَرْتَهُ ﴾
٨٧	١٦	﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ ﴾
٨٢	١٨	﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ ﴾
٩٨	٢٨	﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى ﴾
٦٠	٧٠-٥١	﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرٰهِيْمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهٖ عَلِيمِينَ ﴾
سورة الحج		
١٢٤	٧-٥	﴿ وَفَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَاِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ ﴾
١٢٦	٦	﴿ ذٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾
١١١	٣٠	﴿ ذٰلِكَ وَمَن يُعْظِمِ حُرْمَتَ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِنْدَ رَبِّهٖ ﴾
٩٤	٦٢	﴿ ذٰلِكَ يَأْتِيكَ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ ﴾
١٣١	٧٠	﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾
٨٦	٧٣	﴿ يَتَّبِعُهَا النَّاسُ لَمَّا ضُرِبَ مِثْلُ فَأَسْمَعُوا لَهُ ۗ ﴾
١٠٥	٧٥	﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلٰئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ۗ ﴾
سورة المؤمنون		
٥٤	٢٥-٢٣	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهٖ فَقَالَ يَقُولُوا عٰبُدُوا اللَّهَ ﴾
١٠١	٢٤	﴿ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشْرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ ﴾

اعتراضات الكفار في القرآن الكريم

الصفحة	رقمها	رأس الآية
٥٧	٣٨-٣١	﴿ تَرَاهُمْ قَرَنًا مَّخْرِينَ ﴾
١٠١	٣٤-٣٣	﴿ مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِّثْلُكُمْ أَيُّكُلُ مِمَّا تَكُونُونَ ﴾
٢٢	٤٧-٤٥	﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ﴾
١٠١	٤٧	﴿ أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا ﴾
١٢١	٨٣-٨١	﴿ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴾
١٢٦	١١٦-١١٥	﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ﴾
سورة النور		
٢٤	٤٠-٣٩	﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِفِيحَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً ﴾
١٠٩	٥١	﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴾
سورة الفرقان		
١٢٩-٨٩	٢	﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَهُ. نَقِيرًا ﴾
٧٣	٥-٤	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ ﴾
١٠٥-١٠٢	٧	﴿ وَقَالُوا مَا لِي هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ ﴾
٣٣	٢١	﴿ لَوْلَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْمَلَائِكَةَ نُورِ رَبِّنَا ﴾
١٠٦	٢٢	﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ ﴾
١٣٨	٤٥	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ﴾
سورة الشعراء		
	١٦	﴿ إِنَّا رَسُولٌ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾
٤٩	٢٨-٢٣	﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾
٥٢	٩٨-٩٦	﴿ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَنَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٧﴾ إِذْ سَأَلْتُمْ رَبِّي الْعَالَمِينَ ﴾
١٠٤-٢٢	١١١	﴿ قَالُوا أَتُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴾
٥٧	١٣٨-١٢٣	﴿ كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا نُنْفِقُونَ ﴾
٥٨	١٥٥-١٤١	﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾
١٠١	١٥٤	﴿ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُنَا ﴾
٦٤	١٨٩-١٨٥	﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُنَا ﴾
١٠١	١٨٦	﴿ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُنَا ﴾
سورة النمل		
٤٣	١٤-١٣	﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾
٨٢	١٤	﴿ وَحَدِّثُوا بِهَا وَأَسْتَفْتِنَهَا أَنْفُسَهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾
٥٩	٥٠-٤٥	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾
٨٥	٦٢	﴿ أَمِنْ يُحِبُّ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾
سورة القصص		

اعتراضات الكفار في القرآن الكريم

الصفحة	رقمها	رأس الآية
٢١	٣٩	﴿ وَاسْتَكْبَرُوا وَكُفَرُوا فِي الْأَرْضِ بِعَيْبِ الْحَقِّ ﴾
١١٦	٧٠	﴿ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ ۗ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾
١١٦	٨٨	﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۗ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾
سورة العنكبوت		
٦٣	٣٠-٢٨	﴿ وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ۖ إِنَّكُمْ لَأَنْفُسٌ مِّنْ أَلْفِجَشَشَةٍ ﴾
٨٢	٦١	﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾
سورة الروم		
١٢٤	٢٧	﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾
سورة لقمان		
٨٧	١١-١٠	﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِعَمْرِ تَرْوَنَهَا وَاللَّيْلِ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي ﴾
١٣	١٤	﴿ أَنْ أَسْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ ﴾
السجدة		
٨٩	٧	﴿ أَحْسَنَ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾
١٢١	١٠	﴿ وَقَالُوا آءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَهَلْنَا لِمَنْ يَخْلُقُ جَدِيدًا ﴾
الأحزاب		
٧٨	١٥-١٢	﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ ﴾
٦	٧١-٧٠	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَهُوَلُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾
سورة سبأ		
٣٣	٩	﴿ إِنْ نَشَأْ نُخَسِّفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ ﴾
١٠٧	٣٧	﴿ وَمَا أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ بِالَّتِي تُفَرِّقُونَنَا عِندَنا زُلْفَىٰ ﴾
سورة فاطر		
١٣٨	١١	﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمِيهِنَّ ﴾
١٢٦	٤٤	﴿ وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ ۗ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾
سورة يس		
٦٦	١٩-١٣	﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾
١٣٦	٤٧	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾
١٢١	٧٩-٧٧	﴿ أَوْلَدِيرَ الْإِنْسَانُ ۗ أَنَا خَلَقْتُهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾
١٢٨	٨٣-٧٧	﴿ أَوْلَدِيرَ الْإِنْسَانُ ۗ أَنَا خَلَقْتُهُ ﴾
٩٥	٨١	﴿ وَهُوَ الْخَلْقُ الْعَلِيمُ ﴾
١٣١	٨٢	﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾
سورة الصفات		
٧٤	٣٦	﴿ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَيْتَنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾

اعتراضات الكفار في القرآن الكريم

الصفحة	رقمها	رأس الآية
١٣٨	٩٦	﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾
سورة ص		
٧٤	٤	﴿ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذٰبٌ ﴾
١٠٢	٨	﴿ أَمْ نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي ﴾
٨٨	٢٧	السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا بِطِلَافٍ
سورة الزمر		
٩٣	٣	﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾
٣٠	٣٢	﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالْحَقِّ إِذْ جَاءَهُ ۗ ﴾
٩٧	٤٤-٤٣	﴿ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ ۗ ﴾
١٣١	٦٢	﴿ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾
١١٩	٧١	﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۗ ﴾
سورة غافر		
٢٧	٦-٤	﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ ۗ ﴾
٢٧	٣٥	﴿ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطٰنٍ أَنَّهُمْ ۗ ﴾
سورة فصلت		
١٠١	١٤	﴿ إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ إِلَّا نَعَبَدُوا إِلَّا اللَّهَ ۗ ﴾
	٣٩	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خٰشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۗ ﴾
٧٢-٥٢	٤٣	﴿ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ ۗ ﴾
١٠٢	٥٣	﴿ فَلَوْلَا لَقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جِلَّةٌ مَعَهُ الْمَلٰئِكَةُ مُقَرَّبِينَ ۗ ﴾
سورة الزخرف		
٢٩	٧-٦	﴿ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾
٤٣	٩	﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۗ ﴾
١٣٤	١٧	﴿ وَإِذَا بُعِثَ أَحَدُهُمْ يَمَّا ضَرَبَ لِلرَّحْمٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۗ ﴾
١٣٦	٢٠	﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمٰنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۗ ﴾
١٠٨-٢٥	٢٣	﴿ وَكَذٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ ۗ ﴾
١٠٢-٧٤	٣١	﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نَزَّلَ هٰذَا الْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ۗ ﴾
٣٣	٣٥-٣٣	﴿ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا ۗ ﴾
٤٣	٨٧	﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ۗ ﴾
سورة الدخان		
٧٥	٣٦-٣٤	﴿ إِنَّ هٰؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ۗ ﴾
سورة الجاثية		
١٢٠	٢٥-٢٤	﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ۗ ﴾

اعتراضات الكفار في القرآن الكريم

الصفحة	رقمها	رأس الآية
١١٩	٣٢	﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ ﴾
سورة الأحقاف		
٨٧	٣	﴿ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾
١٢٤	٣٣	﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ ﴾
سورة الحجرات		
٤٠	١٣	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾
سورة ق		
١٠١	٢	﴿ بَلْ يَجْعَلُونَ آيَاتِنَا آيَاتِنَا مُنْذِرًا مَنَّهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾
٧٥	٣-٢	﴿ بَلْ يَجْعَلُونَ آيَاتِنَا مُنْذِرًا مَنَّهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾
١٢٥	٤-٣	﴿ أَوَلَمْ نَكُنْ نَرِيكَ ذَلِكَ رَجْعًا بَعِيدًا ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ ﴾
١٩	٥	﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ﴾
٣١	١٤-١٢	﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّيِّسِ وَنُوحٌ ﴾
١٢٦	١٥	﴿ أَفَعَبْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾
١٢٦	٣٨	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾
سورة الذاريات		
١٢٢	٦-١	﴿ وَالذَّرِيَّتِ دَرُورًا ﴿١﴾ فَالْحَمَلِكِ وَقَرًا ﴿٢﴾ فَالْمُرْدِيَّتِ بُسْرًا ﴾
٧٢	٥٣-٥٢	﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ اتَّوَصَّوْا بِهِ ﴾
٩٥	٥٦	﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾
سورة الطور		
٨٦	٣٦-٣٥	﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ ﴾
سورة القمر		
٥٩	٢٨-٢٣	﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشْرًا مِمَّا وَجَدْنَا نَتَّبِعُهُمْ إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴾
١٠٢	٢٥	﴿ أَتُلْقِي الذِّكْرَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَتِيْرٌ ﴾
١٣٢	٤٩-٤٨	﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ دُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾
سورة المجادلة		
١٧	٢٠	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴾
سورة الحشر		
١٨	٤-٣	﴿ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَآءَ لَمَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا ﴾
سورة المنافقون		
٧٩	٧	﴿ هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا ﴾
سورة التغابن		
١٢٢	٧	﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ آيَاتِنَا إِلَّا لِيُحْزِنَهُمْ فِيهَا وَلِيُذَكِّرَ الَّذِينَ لَمْ يَتَّقُوا ﴾

اعتراضات الكفار في القرآن الكريم

سورة الملك		
٩٥	١٤	﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾
سورة الحاقة		
٥٦	٨-٦	﴿ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾
سورة نوح		
٥٣	٢٣	﴿ وَقَالُوا لَا نَدْرَأُ الْهَيْهَاتَكَ وَلَا نَذُرُ وَدَا وَلَا سَوَاعَا وَلَا يَفُوتُ وَيَعُوقُ وَنَسْرًا ﴾
سورة الجن		
١١٩	٧	﴿ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَتَ اللَّهُ أَحَدًا ﴾
سورة المدثر		
٧٢	٤-١	﴿ يَا أَيُّهَا الْمَدْيَنِيُّ ﴿١﴾ قُوْا نَذِيرٌ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِيرٌ ﴿٣﴾ وَيَا بَابَ فَطْحِمْ ﴾
٣٤	٥٢	﴿ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنشَرَةً ﴾
سورة القيامة		
١٢٦	٤-٣	﴿ أَلَيْسَ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ يَجْعَ عِظَامَهُ ﴿٢﴾ بَلْ قَادِرِينَ عَلَيَّ أَن نُّسَوِيَ بَنَانَهُ ﴾
١٢٧	٣٦	﴿ أَلَيْسَ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴾
سورة النازعات		
٧٥	١٤-١٠	﴿ يَقُولُونَ أَيْنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴾
١٢١	١٤-١١	﴿ أَيْ ذَا كُنَّا عِظْمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾
٥٠	٢٤-٢٢	﴿ أَيْ ذَا كُنَّا عِظْمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾
٥٠	٢٥	﴿ فَآخِذْهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ﴾
سورة التكويد		
١٣٩	٢٩-٢٨	﴿ لِيَمُنَّ شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾
سورة الأعلى		
٨٩	٣-٢	﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾
سورة الفجر		
٥٥	٦	﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴾

ب- فهرس الأحاديث

الحديث	الراوي	الصفحة
انتوا نوحا فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض	أنس بن مالك	٥٤
إذا رأيتم الحريق فكبروا فإنه يطفئ النار	ابن عباس	٤١
إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض	عبد الله بن عمرو	١٣٠
إن الله وضع عنكم عيبة الجاهلية وفخرها بالآباء	أبو هريرة	٤٠
جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله صلى الله عليه وسلم	أبو هريرة	١٣٢
قيل لبني إسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقلوا حطة	أبو هريرة	٧٠
لا فضل لعربي على عجمي ولا عجمي على عربي	أبو نضرة	٤٠
لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر	ابن مسعود	٢٢
لا يشكر الله من لا يشكر الناس	أبو هريرة	١٣
ما من مولود يولد إلا على الفطرة	أبو هريرة	٨٥

ج- فهرس الآثار

الأثر	الراوي	الصفحة
أشراف الناس اتبعوه أو ضعفاؤهم؟ قال: بل ضعفاؤهم	ابن عباس	١٠٨
تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألا يضل	ابن عباس	١٧
قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح	ابن عباس	٥٣
من الله الرسالة، ومن الرسول البلاغ، وعلينا التسليم	الزهري	١٦
يمر بنا الشهر والشهران ما نوقد في بيوتنا ناراً	عائشة	٤٠

هـ - فهرس الآيات الشعرية

عجز البيت	الصفحة
أم كيف يجحده الجاحد-----	٨٤
تدل على أنه واحد-----	٨٤
والنار معبودة مذ كانت النار-----	٣٨
بهن اختلافاً بل أتين على قدر-----	٩٠
بأحداق هي الذهب السبيك-----	٨٣
بأن الله ليس له شريك-----	٨٣
إلى آثار ما صنع المليك-----	٨٣
فأخرجهم للحكم يوم التخاصم-----	٤٢

د- فهرس المصادر

١. إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات؛ وحامد عبد القادر؛ ومحمد النجار، المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، (دار النشر: دار الدعوة).
٢. ابن أبي العز، صدر الدين محمد بن علاء الدين دمشقي، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق أحمد شاكر، ط١، (طبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد).
٣. الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح وضعيف الجامع الصغير، (بيروت، المكتب الإسلامي).
٤. الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الاحاديث الصحيحة، ط١، (الرياض، مكتبة المعارف).
٥. البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم زسننه وأيامه، تحقيق محمد بن زهير بن ناصر، ط١، (دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ).
٦. البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر محمد الشيرازي، ط١، (بيروت، دار الكتب العلمية: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).
٧. الترمذي، محمد بن عيسى السلمي، كتاب الجامع، تحقيق: أحمد شاكر، (بيروت، دار إحياء التراث العربي).
٨. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم، مجموع الفتاوى، تحقيق: أنور الباز؛ عامر الجزار، ط: ٣، (دار الوفاء، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م).
٩. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٧ (القاهرة، مكتبو الخانجي، ١٩٩٨م).
١٠. الجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط١، (بيروت: دار الكتاب العربي ١٤٠٥هـ).
١١. ابن حجر، أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩هـ).
١٢. الحصري، إبراهيم بن علي، زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق: د. يوسف الطويل، ط١ (بيروت، دار الكتب العلمية ١٩٩٧م).
١٣. الحكمي، حافظ بن أحمد بن علي، معارج القبول بشرح سلم الوصول، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، ط١، (الدمام، دار ابن القيم، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م).
١٤. ابن حنبل، الإمام أحمد، المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط٢، (مؤسسة الرسالة، ٥١٤٢٠، ١٩٩٩م).
١٥. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، كتاب السنن، (بيروت، دار الكتاب العربي).
١٦. الراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق مصطفى العدوي، ط١ (القاهرة، مكتبة فياض).
١٧. الراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات البلغاء، (بيروت مكتبة الحياة).
١٨. ابن رجب، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد، جامع العلوم والحكم، ط١، (بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٨هـ).
١٩. رضا، محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، سنة النشر: ١٩٩٠م، (الهيئة المصرية العامة للكتاب).
٢٠. الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير الوسيط، ط: ١، (دمشق، دار الفكر، ١٤٢٢هـ).
٢١. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، ط: ١، (الرياض، مؤسسة الرسالة).
٢٢. الشنقيطي،: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (بيروت، دار الفكر،

٢٣. أبو الشيخ، عبد الله بن محمد بن جعفر الأصبهاني، كتاب العظمة، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، ط: ٢، (الرياض، دار العاصمة: ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).
٢٤. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط ١، (الرياض، مؤسسة الرسالة).
٢٥. ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الطبعة التونسية، (تونس، دار سحنون).
٢٦. العثيمين، محمد بن صالح، القول المفيد على كتاب التوحيد، (الرياض، دار العاصمة).
٢٧. الغزالي: محمد بن محمد ي أبو حامد، إحياء علوم الدين، (بيروت، دار المعرفة). (١٩٩٥هـ - ١٤١٥هـ).
٢٨. ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن زكري، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (بيروت، دار الفكر).
٢٩. الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب مجد الدين الشرازي، القاموس المحيط، (نسخة مصورة عن الطبعة الثالثة للمطبعة الأميرية سنة ١٣٠١هـ).
٣٠. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ، المصباح المنير، (بيروت، المكتبة العلمية).
٣١. ابن قيم الجوزية، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، تحقيق: مصطفى أبو النصر الشلبي، ط: ١، (جدة، مكتبة السوادي، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م).
٣٢. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أبو عبد الله، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، (المدينة النبوية، ط: الجامعة الإسلامية).
٣٣. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب شمس الدين، زاد المعاد في هدي خير العباد، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م).
٣٤. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، أبو عبد الله الزرعي، الصواعق المرسل على الجهمية والمعتلة، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله، ط ٣ (الرياض: دار العاصمة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م).
٣٥. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل الدمشقي، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، ط ١، (دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٨).
٣٦. المراغي، أحمد مصطفى، تفسير الشيخ المراغي، (مصر، طبعة مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده).
٣٧. ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي المصري، لسان العرب، ط ١ (بيروت: دار صادر).
٣٨. ابن نجيم، زين العابدين بن إبراهيم، الأشباه والنظائر، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م).
٣٩. النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري، المنهاج شرح صحيح مسلم، ط ٢، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ).
٤٠. هراس، محمد خليل، شرح العقيدة الواسطية، تحقيق علوي بن عبد القادر السقاف، ط ٣، (الرياض، دار الهجرة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م).

الموضوعات	الصفحة
المقدمة	٥
أهمية هذا الموضوع	٨
أسباب اختيار الموضوع	٨
منهج البحث	٩
خطة البحث	١٠
كلمة شكر	١٣
الباب الأول: خطورة الاعتراض وأسبابه وأساليبه	١٤
الفصل الأول: خطورة الاعتراض على الله تعالى: وفيه أربع مباحث	١٥
المبحث الأول: تعريف الاعتراض	١٥
تعريف الاعتراض لغة	١٥
تعريف الاعتراض اصطلاحاً	١٥
المبحث الثاني: شؤم الاعتراض على الله تعالى	١٦
الضلال والشقاء	١٦
الذل والصغار في الدنيا والآخرة	١٧
عقوبة الله للمعترض عليه بإفساد عقله	١٨
التناقض والاضطراب	١٩
الفصل الثاني: أسباب اعتراضات الكفار: وفيه ثلاث مباحث	٢٠
المبحث الأول: الاستكبار	٢٠
المطلب الأول: تعريف الاستكبار	٢٠
المطلب الثاني: أنواع الاستكبار	٢١
المطلب الثالث: كون الاستكبار سبباً في الاعتراض على الحق	٢٢
المبحث الثاني: الجهل	٢٣
المطلب الأول: تعريف الجهل	٢٣
المطلب الثاني: أنواع الجهل	٢٣
المطلب الثالث: كون الجهل سبباً في الاعتراض على الله تعالى	٢٤
المبحث الثالث: اتباع الآباء	٢٥
الفصل الثالث: أساليب اعتراضات الكفار في القرآن: وفيه أربع مباحث	٢٦
المبحث الأول: الجدل	٢٦
المطلب الأول: تعريف الجدل	٢٦
المطلب الثاني: حكم الجدل	٢٦
المطلب الثالث: الاعتراض بأسلوب الجدل	٢٧
المبحث الثاني: الاستهزاء	٢٨
المطلب الأول: تعريف الاستهزاء	٢٨
المطلب الثاني: خطورة الاستهزاء	٢٩

٢٩	المطلب الثالث: الاستهزاء مسلك كل المعترضين على الحق
٣٠	المبحث الثالث: التكذيب
٣٠	المطلب الأول: تعريف الكذب
٣٠	المطلب الثاني: خطورة التكذيب
٣١	المطلب الثالث: التكذيب من أشنع الأساليب في الاعتراض على الحق
٣٢	المبحث الرابع: الاقتراح
٣٢	المطلب الأول: تعريف الاقتراح
٣٢	المطلب الثاني: كثرة اعتراضات الكفار باقتراح الآيات
٣٥	الباب الثاني: الأفراد والطوائف المعتضة في القرآن الكريم
36	الفصل الأول: إبليس اللعين
36	المبحث الأول: التعريف بإبليس اللعين
٣٧	المبحث الثاني: كون إبليس اللعين أول المعترضين على رب العالمين، وشبهته في ذلك
39	المبحث الثالث: بيان فساد اعتراض اللعين على أمر الله تعالى
43	الفصل الثاني: المنكرون لربوبية الله تعالى
٤٤	المبحث الأول: النمروذ الملك المتحجر
٤٤	المطلب الأول: التعريف بالنمروذ المتحجر
٤٤	المطلب الثاني: ذكر قصة النمروذ المتحجر واعتراضه على ربوبية الله
٤٧	المبحث الثاني: فرعون الطاغية
٤٧	المطلب الأول: التعريف بالطاغية فرعون
٤٧	المطلب الثاني: إنكار فرعون الطاغية واعتراضه على ربوبية الله تعالى
٥١	الفصل الثالث: المشركون من الأمم السالفة
٥٢	المبحث الأول: تعريف شرك الألوهية
٥٢	المبحث الثاني: تشابه اعتراضات المشركين على مر التاريخ
٥٣	المبحث الثالث: الأمم المشتركة المعتضة في القرآن
٥٣	١- قوم نوح عليه السلام
٥٥	٢- عاد: قوم هود عليه السلام
٥٧	٣- ثمود: قوم صالح
٥٩	٤- قوم إبراهيم عليه السلام
٦١	٥- قوم لوط عليه السلام (المؤتفكات)

٦٣	٦- قوم شعيب عليه السلام
٦٥	٧- أصحاب القرية
٦٦	٨- أهل الكتاب
٦٧	تعريف اليهود
٦٨	كثرة اعتراضات اليهود
٧٢	الفصل الرابع: المعترضون من أمة النبي ﷺ
٧٢	المبحث الأول: المشركون
٧٦	المبحث الثاني: المنافقون
٧٦	المطلب الأول: تعريف النفاق والمنافقين
٧٦	النفاق لغة
٧٦	النفاق اصطلاحاً
٧٦	المطلب الثاني: أقسام النفاق
٧٧	المطلب الثالث: اعتراضات المنافقين
٨٠	الباب الثالث: أنواع اعتراضات الكفار في القرآن و الجواب عنها
٨٢	الفصل الأول: الاعتراض على الله في ربوبيته وألوهيته
٨٢	المبحث الأول: الاعتراض على ربوبية الله تعالى
٨٤	١- دلالة الفطرة
٨٦	٢- دلالة الخلق والإيجاد
٨٧	٣- دلالة العناية والإعداد
٨٩	٤- دلالة الإتقان والتقدير
٩٢	المبحث الثاني: الاعتراض على ألوهية الله تعالى
٩٢	المطلب الأول: الاعتراضات التي أوردها المشركون على توحيد الألوهية
٩٢	١- الاحتجاج بما كان عليه الآباء والأجداد
٩٣	٢- الاحتجاج بأن معبوداتهم تشفع لهم عند الله تعالى
٩٤	المطلب الثاني: ردود القرآن على اعتراضات المشركين على توحيد الألوهية
٩٤	١- الاستدلال على توحيد الألوهية بتوحيد الربوبية
٩٦	٢- الاستدلال بعجز الألهة المدعوة من دون الله تعالى
٩٧	٣- الاستدلال بأن الشفاعة ملك لله وحده

- ٩٩-----الفصل الثاني: الاعتراض على رسل الله تعالى
- ١٠٠-----المبحث الأول: اعتراضات الكفار على رسل الله تعالى
- ١٠٠-----١- الاعتراض على بشرية الرسل عليهم الصلاة والسلام
- ١٠٢-----٢- الاعتراض على اختيار الله لرسله
- ١٠٣-----٣- الاعتراض على الرسل بأنهم يسعون وراء الجاه والمناصب
- ١٠٣-----٤- الاعتراض على الرسل الكرام بكون أتباعهم من الضعفاء
- ١٠٥-----المبحث الثاني: ردود القرآن على اعتراضات الكفار على رسل الله تعالى
- ١٠٥-----١- الرسل بشر أعدهم الله لحمل النبوة والرسالة
- ١٠٧-----٢- الرسل أزكى الخلق نفوساً وأزهدهم في الدنيا
- ١٠٧-----٣- الضعفاء هم أغلب من استجاب لدعوة الرسل
- ١٠٩-----الفصل الثالث: الاعتراض على أحكام الله تعالى
- ١١٠-----المبحث الأول: اعتراضات الكفار على أحكام الله تعالى
- ١١٠-----١- الاعتراض على أحكام الله تعالى بالتعنت في مخالفة أوامره جل وعلا
- ١١١-----٢- الاعتراض على أحكام الله تعالى بانتهاك حرمانه
- ١١٤-----٣- اعتراض الكفار على التحاكم إلى شرع الله تعالى
- ١١٥-----المبحث الثاني: ردود القرآن الكريم على المعترضين على أحكام الله تعالى
- ١١٥-----١- الحكم لله وحده
- ١١٧-----٢- شريعة الله تعالى وأحكامه كاملة وشاملة
- ١١٩-----الفصل الرابع: الاعتراض على وقوع اليوم الآخر
- ١٢٠-----المبحث الأول: اعتراضات الكفار على وقوع اليوم الآخر
- ١٢٠-----١- الاعتراض على وقوع اليوم الآخر بعدم رجوع آياتهم الأولين
- ١٢٠-----٢- الاعتراض على البعث باستحالة إعادة الأجساد بعد أن صارت تراباً
- ١٢٢-----المبحث الثاني: ردود القرآن على اعتراضات المنكرين للبعث
- ١٢٢-----١- الأدلة النقلية
- ١٢٣-----٢- الأدلة العقلية والحسية
- ١٢٥-----٣- الأدلة المتعلقة بصفات الله عز وجل
- ١٢٥-----كمال علم الله تعالى

١٢٦	-----	-كمال قدرة الله تعالى
١٢٦	-----	-كمال حكمة الله تعالى
١٢٧	-----	-كمال عدل الله تعالى
١٢٩	-----	الفصل الخامس: الاعتراضات على أقدار الله تعالى
١٢٩	-----	المبحث الأول: التعريف بالقدر
١٢٩	-----	القدر في اللغة
١٢٩	-----	القدر في الشرع
١٣٢	-----	المبحث الثاني: اعتراضات الكفار على أقدار الله تعالى
١٣٣	-----	١- الاعتراض على أقدار الله تعالى قدحا في علمه أو مشيئته أو خلقه:
١٣٥	-----	٢- الاعتراض بالقدر على مخالفة شرع الله تعالى
١٣٨	-----	المبحث الثالث: ردود القرآن على اعتراضات الكفار في باب القدر
١٣٨	-----	١- كل شيء بتقدير الله ومشيئته:
١٣٩	-----	٢- لله الحجة البالغة على عباده:
١٤١	-----	الخاتمة
١٤١	-----	١- النتائج
١٤٢	-----	٢- التوصيات
١٤٣	-----	الفهارس
١٤٤	-----	أ- فهرس الآيات
١٥٤	-----	ب- فهرس الأحاديث
١٥٥	-----	ج- فهرس الآثار
١٥٦	-----	د- فهرس الأبيات الشعرية
١٥٧	-----	هـ- فهرس المصادر
١٥٩	-----	و- فهرس الموضوعات